



جامعة الأزهر

كلية أصول الدين والدعوة بطنطا

بحث بعنوان

(جوانب نقد الاشتراكية العلمية
في فكر الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى)

Aspects of the criticism of scientific socialism in the thought of sheikh Mahmoud Shaltout, may God have mercy on him

للباحث / مُحَمَّد علي إبراهيم محمود حمد

المدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية

مقدم إلى :

المؤتمر الدولي الثاني لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

موقف أهل السنة والجماعة من التيارات والمذاهب الفكرية

الجهود – المناهج – القضايا

المنعقد في يوم

١٠ محرم١٤٤٣هـ

١٨ أغسطس ٢٠٢١ م

جوانب نقد الاشتراكية العلمية في فكر الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى–

مُحَمَّد علي إبراهيم محمود حمد
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني:MohamedAli.el.66@azhar.edu.eg

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى بيان دور الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى –في مناهضة الاشتراكية العلمية ، وكذا بيان تلك الجوانب التي تعرض لها الإمام الراحل – رحمه الله تعالى – بالنقد والنقض على السواء، وكان أول جانب من تلك الجوانب التي تناولها الإمام بالنقد هو الجانب العقدي ، فبيَّنتُ أهم ما قامت عليه الاشتراكية العلمية في هذا الجانب ، مبينا أصولها التي قامت عليها والمبادئ العقدية التي ساقت أتباعها للإيمان بها ، ثم شرعت أبين موقف الإمام الراحل من هذا الجانب ، ودوره في نقض ونقد هذا الجانب ، وكيف أن الإمام نوَّع من تناوله ، وتلك الصور المتنوعة التي كرَّ بها الإمام على الاشتراكية العلمية فيما يتعلق بجانبها العقدي. ثم شرع البحث في بيان الجانب التشريعي فيما يخص الاشتراكية العلمية ، فأوضحت ما يقوم عليه هذا المذهب في هذا الجانب ، مبينا دور الإمام الراحل الشيخ شلتوت في مناهضة للاشتراكية في جانبها التشريعي.

ثم كان الجانب الثالث في هذا البحث ، وهو الجانب الأخلاقي ، مبينا رؤية الاشتراكية العلمية لهذا الجانب ، وكيف أنها تحارب منظومة الأخلاق الثابتة ، وتدعو في الوقت ذاته إلى اخلاق مرذولة ، ثم كان دور الإمام الراحل في بيان تهافت الاشتراكية في هذا الجانب ، موضحا كيف أن الإمام تناولها في هذا الجانب من عدة محاور ، بما يقرر نقضها من جانب ، وبما يقرر الأخلاق الفاضلة في النفوس من جانب ثان، وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها هو بيان ما للإسلام من محاسن كثيرة في مقابلة المذاهب الإلحادية ، ، ثم تكاملية الأدوار التي قام بها الإمام الراحل – رحمه الله تعالى – في تناول المذهب الاشتراكي ، كما يوصي الباحث بضرورة بحث أي مذهب – يراد بحثه – من جميع جوانبه دون الاكتفاء بجانب واحد فقط ، كما في تناول الإمام – رحمه الله تعالى – ، فضلا عن أهم التعريف أكثر بالمذاهب الهدامة المناوئة للإسلام ، ثم ضرورة محاربة الكتب التي تدعو إلى تلك المذاهب

الكلمات الافتتاحية : نقد – الاشتراكية – جوانب – الشيخ شلتوت – الشيوعية – فكر .

Aspects of the criticism of scientific socialism in the thought of sheikh Mahmoud Shaltout, may God have mercy on him

Muhammad Ali Ibraheem Mahmoud Hamad
Department of Da`wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Da`wah, Tanta, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
E-mail: Mohamed86hamdali.gmail.com

Abstract

This research aims at clarifying the role Sheikh Mahmoud Shaltout - may God have mercy on him – played in the opposition to scientific socialism, as well as showing those aspects that the late Imam - may God have mercy on him - tackled by criticism and refutation alike.

The first of those aspects that the imam criticized was the ideological aspect, so I explained the most important of what scientific socialism was based on in this aspect, showing its origins on which it was based and the ideological principles that led its followers to believe in it. After that, I began to show the late imam's opinion to this aspect, his role in refuting and criticizing it, how he diversified its approach, and show those various ways the imam used to attack the scientific socialism regarding its ideological aspect.

Then the research proceeded to explain the legislative aspect regarding scientific socialism, and it clarified what this doctrine is based on in this aspect, showing the role of the late Imam Sheikh Shaltout in the struggle against socialism in its legislative aspect.

After that, there was the third aspect in this research, which is the ethical aspect, showing the vision of the scientific socialism for this aspect, and how it fights the fixed moral system, and at the same

time calls for deplorable morals. Then came the role of the imam in showing the fragileness of it in this aspect, clarifying how he tackled it from several points regarding this aspect; refuting it from one side, and stating the good manners in souls from the other.

Thus, the most important results that I reached were the statement of the many advantages of Islam in confronting the atheistic doctrines, then the complementarity of the roles played by the late Imam - may God Almighty have mercy on him - in tackling the socialist doctrine.

The researcher also recommends the necessity of examining any doctrine - to be researched - from all its aspects without satisfying with one aspect only, as the imam - may God Almighty have mercy on him - did, as well as showing the importance of explaining more those destructive doctrines opposing Islam, hence the necessity of confronting those books that call for these doctrines.

Key words: Criticism - Socialism - aspects - Sheikh Shaltout - Communism and Thought

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد شاءت إرادة الله تعالى واقتضت حكمته البالغة أن تتعدد العقول ، وتتباين المدارك ، وتختلف الفهوم ، وتتنوع الرؤى ، وتتمايز التصورات ، وكان هذا من سنن الله تعالى في خلقه ، تلك السنن التي يسير عليها نظام الكون وتنتظمه قوانينها ومبادئها ، ولا ريب في أن الإنسان جزء من هذا الكون وعنصر فاعل فيه ، فلا غرو أن تشتمله تلك السنن وينطوي تحت لوائها ولا يشذ عنها .

ولما كانت تلك طبيعة البشر في تعدد عقولهم ومداركهم وتباين تصوراتهم وفهومهم ، فلا عجب أن نجد أقوالا متعددة هي الأخرى ، وسلوكيات مختلفة ، وانفعالات غير موحدة ، فجاءت نتيجة لما صدر عنها وهي تلك العقول والمدارك .

غير أن تلك العقول والمدارك والأفكار والرؤى والتصورات قد تسلك مسلك التعددية المقبولة ، والتنوع الذي يُثري العملية العقلية والفكرية بما يزيد في السعة والرحابة الفكرية ، التي تطلق للفكر مساحات واسعة في القضية الواحدة ، فيأتي فيها بما يخدم تلك القضايا ويكون مصدر إثراء دلالي وفكري لها .

ولا مرية في أن تلك التعددية والتنوع لا يكونان من هذا النوع المقبول إلا إذا تقيَّد كلٌ منهما بعدة ضوابط وأصول ، في فهمه وتصوراته ، تجعله في بوتقة القبول والتنوع والإثراء ، وتعصمه من قواصم فكرية مقيتة ، تشذ به عن المقبول ، وتخرج به عن المقصود.

ورغم أن تلك الأصول والمبادئ والضوابط التي تعصم الفكر من الخلل والنقص ، ينبغي لكل عاقل الالتزام بها والتقيد من خلالها والسير في ركابها ، حتى يأتي الفكر ناضجا ، والتصور مقبولا ، والرؤية منضبطة ، إلا أن هناك مذاهب خرجت من تلك البوتقة المنشودة ، فتحررت من تلك الأصول ، وتأبت على مبادئها ، ورسمت لنفسها أصولا أخرى خالفت بها منهج الإسلام في الفهم والاستدلال والاستنباط ، فجاءت

الأفكار غاية في الغرابة ، والعقول غاية في التأبي ، والتصورات غاية في التخبط ، فخالفت المنقول ، وشذت عن المعقول ، وندت عن الفكر الصحيح المنشود .

ومن تلك المذاهب الماثل فيها تلك الأوصاف : الاشتراكية العلمية ، إذا جمعت بين عوج الفكر ، وغرابة الفهم ، وانحراف السلوك ، ووقعت في الاختلاف المذموم الذي حذَّر منه القرآن الكريم وسنة النبي الكريم – ﷺ – .

ولمَّا كان المجتمع المسلم مجتمعا فاعلا ، موصوفا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد وصف النبي – ﷺ – جماعة منه بقوله : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين)([1]). فلا غرابة أن تنتصب تلك الجماعة بتصحيح المسار ، وتقويم الفكر ، تحقيقا وتطبيقا لقول النبي – ﷺ – .

ومن بين هؤلاء الذين حملوا على عاتقهم مشعل الهداية ، ونبراس الطريق ، ونور التصحيح لما كان معوجا أو خاطئا ، فضيلة الإمام الأكبر ، شيخ الأزهر الراحل : الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – ، فنظرا لما كان يتمتع به من فهم ثاقب ، ورؤية عقلية ، ونظرة فكرية ، فضلا عن دعوته المتجددة بضرورة الإصلاح والتجديد ، وفوق هذا كله معايشته لتفسير كتاب الله تعالى ، أقول : نظرا لهذا كله فقد تصدى الشيخ – رحمه الله

---

[1]) رواه الطبراني في (مسند الشاميين) ، رقم (٥٩٩) ، ج١ ، ص٣٤٤ . بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م . الطبعة الأولى . وابن بطة في (الإبانة الكبرى) ، رقم (١٩٨) ، ج١ ، السعودية ، دار الراية ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م . الطبعة الثانية . وأبو بكر البزار في (البحر الزخار) ، رقم (٩٤٢٣) ، ج١٦ ، ص٢٤٧ . السعودية ، مكتبة العلوم والحكم ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م . الطبعة الأولى . و : ابن الوضاح في (البدع والنهي عنها) ، رقم (١) ، ص٢٥ ، ٢٦ . مصر ، مكتبة ابن تيمية ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م . الطبعة الأولى .و : أبو جعفر الطحاوي في (شرح مشكل الآثار) ، رقم (٣٨٨٤) ، ج١٠ ، ص١٧ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة= ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م ، الطبعة الأولى . و : الخطيب البغدادي في (شرف أصحاب الحديث) ، رقم (٥٢) ، ص٢٨ ، تركيا ، مطبوعات كلية الإلهيات ، جامعة أنقرة ، بدون تاريخ . و : أبو القاسم بن تمام الرازي في (الفوائد) ، رقم (٨٩٩) ، ج١ ، ص٣٥٠ ، السعودية ، مكتبة الرشد ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م . الطبعة الأولى . و : العلائي في (بغية الملتمس) ، ص٣٤ ، بيروت ، عالم الكتب ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م . وكلهم رواه بسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه– إلا العلائي فقد رواه بسنده عن أسامة بن زيد . واختلفوا في تصحيحه وتضعيفه ، وقال العلائي : حديث حسن غريب صحيح .

تعالى – لمبادئ هذا المذهب الاشتراكي ، وكرَّ عليه بالحجة والبرهان ، وبيَّن عوجه بالدليل والسلطان ، ونوَّع من تلك الأدلة التي حارب بها هذا المذهب ، بما يمثل رؤية شرعية وفكرية منهجية لأهل السنة والجماعة ، الذين ما فتئوا يبينون الحق من بين ركام الباطل ، وجاءت جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – في التصدي للاشتراكية العلمية في صورة جوانب متعددة ، وإن بدا كل جانب فيها صورة مشرقة يتحقق فيها المنشود ، ويربو فيها عن المزيد والمطلوب .

من هنا فقد جاءت تلك الدراسة لتتلمس جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – في محاربة هذا المذهب الذي اشتمل على مخاطر عدة ، ومزالق متنوعة ، شملت الجانب العقدي والتشريعي والأخلاقي ...الخ ، لتصحح المسار ، وتفصح عن جنبات الطريق ، وتضع بالمسلم على الوسط المحمود بين طرفي القصد المذموم ، وفي الوقت ذاته لتكون نبراسا لمن يأتي من بعد الشيخ – رحمه الله تعالى – ، في كيفية المواجهة لما هو معوج ، وتصحيح ما قد خطئ.

فإن وفقت في هذا كله فمن الله تعالى وحده لا شريك له ، فله كامل الحمد ، وعظيم الشكر ، وتمام الامتنان ، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني بشر ، اجتهدت قدر طاقتي ، وأرجوا من الله تعالى أن لا أُحرم الثواب ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه . سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . وصل اللهم على سيدنا مُحَّد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أهمية الموضوع :

لقد تشكلت – في هذا الموضوع – عدة محاور متنوعة ، جعلت منه ذا أهمية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ، لتقرر أن دراسته من الأهمية ما يقرر ضرورة تناوله وعدم غض الطرف عنه بحال ، ومن ذلك :

١– إن تلك المبادئ التي قامت عليها الاشتراكية العلمية خالفت فيها الإسلام جملة وتفصيلا ، منقولا ومعقولا ، ولا ريب في أن تلك المبادئ تمثل خطورة بالغة على أولئك الذين لا يفهموها على وجهها الصحيح ، فلزم بيانها وتبيانها بما يجلي صورتها ويبين حقيقتها ، حتى يمكن الحذر منها ، فاتضحت أهمية الموضوع من هذه الزاوية .

٢- في بيان تلك المبادئ التي قامت عليها الاشتراكية العلمية ، وقد ظُلم فيها الإنسان ، وتعطلت فيها المصالح ، وأريقت دماء ، وسلب أناس من حقوقهم وملكيتهم ، تأتي صورة الإسلام الخالدة في مقارنتها به ، فتبرز تلك الصورة المشرقة لتفتح الطريق أمام أتباع هذا المذهب ، فيمثل دعوة صريحة لهم بالدخول فيه ، وبضدها تتميز الأشياء كما يقولون ، فيمثل هذا جانبا من جوانب تلك الأهمية المقصودة .

٣- يأتي الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – وقد انبثقت رؤيته ونظرته نحو هذا المذهب الاشتراكي – من رؤية ونظرة أهل السنة والجماعة ، والشيخ – رحمه الله تعالى – في تناوله للاشتراكية ونقدها ، جمع صورا عدة ، فركن إلى المنقول ، وخاطب المعقول ، ولامس الفطرة ، ونزل إلى الواقع ، فجاءت جهوده متكاملة في بابها إن شاء الله تعالى ، فلزم بيانها نبراسا لمن يأتي بعده ، فمثلت هي الأخرى نقطة تقرر تلك الأهمية لهذا الموضوع.

٤- إن عدة دراسات متنوعة قد أبانت الستار عن بعض أولئك الذين ينادون بالاشتراكية في بلاد الإسلام وموطن العروبة ، ودعوتهم هذه تحتاج إلى مزيد جهد وعناية ، وبيان تمحيص وكشف ، والتغافل عن مثل تلك الدعوات يُعد ثغرة في مواجهة المذاهب المنحرفة والأفكار الدخيلة ، فلزم التنبه لها والتيقظ لحركتها ، فكانت هي الأخرى نقطة تبرز أهمية هذا الموضوع .

الجديد في تلك الدراسة :

رغم أن هناك عدة دراسات عربية وأجنبية قد تناولت الاشتراكية العلمية أو الشيوعية العملية كما في بعض أسمائها ، فبينت مكنونها ، وأفصحت عن مساوئها ، وأبرزت ثغراتها ، إلا أن تلك الدراسة يزعم الباحث أنها قد أتت ببعض جديد في بابها إن شاء الله تعالى ، ومن ذلك :

١- تخصيص الدراسة بما يتعلق بجهود الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – تجاه الاشتراكية العلمية ، ونقده لمبادئها ، فيما لم يره الباحث في دراسة مستقلة جمعت بين الأمرين .

٢- في كثير من الدراسات النقدية التي تناولت الاشتراكية العلمية يلاحظ الباحث أنها تناولتها بصفة عامة ، فلم تخصص لكل جانب منها نقدا معينا خاصا به ، في حين أن تلك

الدراسة يحاول الباحث فيها تخصيص كل جانب منها بما يخصه ، ومحاولة إنزال مبادئ الاشتراكية عليه من جانب ، وجهود الشيخ – رحمه الله تعالى – من جانب آخر.

٣- في كثير – وليس كل – من الدراسات العربية النقدية التي تناولت الاشتراكية العلمية يلاحظ الباحث فيها أمرين:

الأول : ذكر المبادئ الاشتراكية الشيوعية دون ذكر للمصادر الأصلية عن قادة المذهب الاشتراكي ذاته ، ولا ريب في أن المنهج العلمي في دقته وأصالته يتطلب الرجوع إلى أقوال قادة المذهب ومؤسسيه ، فضلا عن كتب ومؤلفات ومصادر المذهب المعتمدة لدى القائلين به .

الثاني : في بعض تلك المصادر التي تناولت هذا المذهب بالنقد يلاحظ الباحث أيضا أنها تذكر تلك المبادئ الاشتراكية عن مراجع أخرى عربية ، وهي تمثل مراجع ثانوية بالنسبة للمصادر الاصلية الاشتراكية ، فبذلك يكون المرجع الثانوي قد أخذ عن مرجع ثانوي مثله ، وهذا أيضا ينافي الأصالة المنشودة في البحث العلمي .

وفيما يخص الأمرين يحاول الباحث ذكر المبادئ الاشتراكية من قادة المذهب نفسه ، ومن واقع كتابات مؤسسي هذا المذهب ، فضلا عن الاستشهاد بمصادرهم الأصلية المعتمدة لديهم ، وإن كان من ذكر للمراجع العربية فمن باب الاستئناس والاعتضاد لا غير .

أهداف الدراسة :

تهدف تلك الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف ترنو إلى تحقيقها وإنزالها على الواقع الفكري والدعوي والمنهجي ، ومن ذلك :

١- بيان ما للإسلام من مزايا ومحاسن وميزات وخصائص تفرد بها عن كل ما سواه ، من أديان ومذاهب وأحزاب قديمة ومعاصرة ، محرفة كانت أو وضعية .

٢- إبراز مساوئ المذهب الاشتراكي في مبادئه وأصوله وتشريعاته وأخلاقه ، بما يجعل الفكر الإنساني الرشيد ينبو عن الأخذ بمثله ، ويأنف عن الاعتداد به والركون إليه .

٣- بيان ما لأهل السنة والجماعة من دور ملحوظ ، وجهد متواصل ، وعمل دؤوب ، في بيان زيوف المذاهب الوضعية والأديان المحرفة والوضعية أيضا ، وأنهم لم يألوا جهدا في بيان

ذلك والقيام بحقه ، متمثلا هذا كله في الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – كعلم من أعلام أهل السنة والجماعة في العصر الحديث .

٤- إبراز تلك الجهود المضنية التي قام بها الشيخ شلتوت – رحمه الله تعالى – في مجابهة الاشتراكية العلمية والشيوعية العملية ، وتبيانها للدارسين والباحثين ، حتى يمكن الاستفادة منها فتكون نبراسا للسالكين ، وطريقا للباحثين ، هؤلاء الذين يتصدون لكل زائف ، وتمحيص كل باطل .

تقسيم الدراسة :

جاء هذا البحث المتواضع في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، فأما المقدمة فبينتُ فيها أهمية الموضوع ، وأهداف الدراسة ، والجديد في تلك الدراسة ، وكذا تقسيم هذه الدراسة ، وأما التمهيد فأفصحت فيه عن أمرين:

أولا : بيان مفردات عنوان البحث .

ثانيا : تاريخ المذهب الاشتراكي ، وبيان مبادئه وأصوله ، وكذا خطورته وآثاره .

وأما فصول البحث فقد جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول : نقد الاشتراكية العلمية في فكر الشيخ محمود شلتوت فيما يخص الجانب العقدي.

وفيه توطئة ومبحثان :

المبحث الأول : بيان ما قام عليه المذهب الاشتراكي فيما يخص الجانب العقدي .

المبحث الثاني : جهود الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – في نقد الاشتراكية العلمية فيما يخص الجانب العقدي.

الفصل الثاني : نقد الاشتراكية العلمية في فكر الشيخ محمود شلتوت فيما يخص الجانب التشريعي.

وفيه توطئة ومبحثان :

المبحث الأول : بيان ما قام عليه المذهب الاشتراكي فيما يخص الجانب التشريعي .

المبحث الثاني : جهود الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – في نقد الاشتراكية العلمية فيما يخص الجانب التشريعي .

الفصل الثالث : نقد الاشتراكية العلمية في فكر الشيخ محمود شلتوت فيما يخص الجانب الأخلاقي.

وفيه توطئة ومبحثان :

المبحث الأول : بيان ما قام عليه المذهب الاشتراكي فيما يخص الجانب الأخلاقي .

المبحث الثاني : جهود الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – في نقد الاشتراكية العلمية فيما يخص الجانب الأخلاقي.

وأما الخاتمة : فقد اشتملت على النتائج والتوصيات ، ثم المصادر والفهارس .

التمهيد

ويشتمل على :

أولا : بيان مفردات عنوان البحث .

ثانيا : تاريخ المذهب الاشتراكي ، وبيان مبادئه وأصوله ، وكذا خطورته وآثاره .

وبيان ذلك على النحو التالي بإذن الله تعالى وتوفيقه :

أولا : بيان مفردات عنوان البحث :

لا مرية في أن تحديد اللفظ وبيان ماهيته ، وكذا أطره وبِنْيَتِهِ اللفظية هي الطريق إلى فهم المراد وتحديد المقصود ، وبيان ما اشتمل من معان ودلالات ، ومن ثَمَّ يتضح مقصود الباحث من خلال ما تناوله من ألفاظ ومبانٍ ، فيصل القارئ إلى هذا المقصود دونما أي جهد أو صعوبة ، ومن خلال هذا يتم القطع بالمراد دون احتمالات تقذف باللفظ عن المراد منه ، وبالتالي تميع الدلالات المقصودة وتضطرب معانيها المرادة ، وهو ما ينذر بتخبط دلالي تضيع معه الحركة اللفظية والمعنوية المرادة .

ومن هنا لزم على الباحث تبيين المراد والقطع به ، حتى تخرج الصورة المعنوية لا تحتمل غموضا أو اضطرابا .

وقد اشتمل عنوان هذا البحث على عدة ألفاظ ، كان لزاما بيان المراد منها وتحليل بنيتها اللفظية واستخلاص دلالاتها المعنوية ، وهذه الألفاظ هي :

١– جوانب .   ٢– نقد.   ٣– الاشتراكية.   ٤– العلمية .   ٥– فكر .

٦– الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى .

وتفصيل وبيان هذه الألفاظ على النحو التالي بفضل الله تعالى :

أولا : كلمة (جوانب) :

لفظة (جوانب) تأتي جمعا لكلمة (جانب) ، والتي جاءت من الفعل (جَّنَبَ) ، والتي تدور دلالاتها حول أكثر من معنى ، وتعطي أكثر من مضمون ، ومنها : الناحية من الشيء، وشق الإنسان ، وعدة معطيات دلالية أخرى ستضح من خلال النصوص اللغوية .



ففي المحكم ((الجَنْبُ ، والجَنَبَةُ ، والجَانِب : شِقُّ الإنسان وغيره . والجمع : جُنُوبٌ ، وجوانب ، وجنائب))([1]).

وفي معجم مقاييس اللغة ((جَنَبَ) الْجِيمُ وَالنُّونُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ أَحَدُهُمَا: النَّاحِيَةُ، وَالْآخَرُ الْبُعْدُ.

فَأَمَّا النَّاحِيَةُ فَالْجَنَابُ. يُقَالُ : هَذَا مِنْ ذَلِكَ الْجَنَابِ، أَيِ النَّاحِيَةِ. وَقَعَدَ فُلَانٌ جَنْبَةً، إِذَا اعْتَزَلَ النَّاسَ. ...

وَمِنَ الْبَابِ الْجَنْبُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ))([2]).

وفي المعجم الوسيط : (الْجنب) من كل شَيْء ناحيته وَشقه ومعادله وَيُقَال :هَذَا قَلِيل فِي جنب مودتك بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا)([3]).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة (الجانب : ناحية وطرف "درس القضّية من جوانبها المختلفة– بحث عنه في جوانب الدَّار– مضى من الليل جانبٌ: جزء كبير– خفض له جانبه– فاض النهرُ على جانبيه– وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ... ([4]). أخَذه جانبًا: إلى جهة جانبيّة– أمن جانبه: أحسّ بأمن منه– عزيز الجانب/ قويّ الجانب: ذو قوّة ومكانة وأثر.... مقدار أو جزء "خصَّص جانبًا كبيرًا من وقته لأسرته")([5]).

هذه بعض نصوص لغوية جاء في التعريف بمادة (جَنَبَ) ، ومن خلال تلك النصوص يُلاحَظ الآتي :

١– تعطي تلك المادة اللغوية أكثر من مضمون ، ويُشتق منها أكثر من لفظ ، ومن معانيها : الناحية ، والبعد ، وشق الإنسان ، والمقدار ، والطرف ، والجهة ، والجزء .

---

[1]) المحكم والمحيط الأعظم ،أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق : أ.د / عبد الحميد الهنداوي ، ج٧ ، ص٤٦٠ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م . الطبعة الأولى .

[2]) معجم مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس، ج١ ، ٤٨٣. بيروت ، دار الفكر . بدون تاريخ طبع .باختصار.

[3]) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ص١٣٨ . مصر ، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م . الطبعة الرابعة.

[4]) سورة مريم ، جزء من الآية (٥٢) .

[5]) معجم اللغة العربية المعاصرة أ.د / أحمد مختار وآخرون ، ج١ ، ص٤٠١ . مصر، ط عالم الكتب ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م . الطبعة الأولى .باختصار .



٢– تأتي دلالات تلك اللفظة في الجانب المعنوي وكذا الجانب الحسي ، لكن يُلاحَظ أن استعمالاتها في الجانب الحسي أكثر وقوعا .

٣– لا شك أن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد وتحديده ، ولا يمكن القطع بهذا المراد دون الأخذ بمساقات اللفظ الذي جاء فيه .

ثانيا : لفظة نقد :

تأتي لفظة (نّقْد) من الفعل الثلاثي (نّقَدَ) ، والذي يدور معناه حول التمييز ، وإبراز حقيقة الشيء .

ففي معجم مقاييس اللغة ((نَقَدَ) النُّونُ وَالْقَافُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِبْرَازِ شَيْءٍ وَبُرُوزِهِ. مِنْ ذَلِكَ: النَّقَدُ فِي الْحَافِرِ، وَهُوَ تَقَشُّرُهُ. حَافِرٌ نَقِدٌ: مُتَقَشِّرٌ. وَالنَّقَدُ فِي الضِّرْسِ: تَكَسُّرُهُ، وَذَلِكَ يَكُونُ بِتَكَشُّفِ لِيطِهِ عَنْهُ.

وَمِنَ الْبَابِ: نَقْدُ الدِّرْهَمِ، وَذَلِكَ أَنْ يُكْشَفَ عَنْ حَالِهِ فِي جَوْدَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَدِرْهَمٌ نَقْدٌ: وَازِنٌ جَيِّدٌ، كَأَنَّهُ قَدْ كُشِفَ عَنْ حَالِهِ فَعُلِمَ. وَيُقَالُ لِلْقُنْفُذِ الْأَنْقَدُ. يَقُولُونَ: " بَاتَ فُلَانٌ بِلَيْلَةِ أَنْقَدِ "، إِذَا بَاتَ يَسْرِي [لَيْلَهُ] كُلَّهُ. وَهُوَ ذَلِكَ الْقِيَاسُ. لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ يَسْرِي حَتَّى يَسْرُوَ عَنْهُ الظَّلَام)([١]).

وفي مختار الصحاح (ن ق د: (نَقَدَهُ) الدَّرَاهِمَ وَ (نَقَدَ) لَهُ الدَّرَاهِمَ أَيْ أَعْطَاهُ إِيَّاهَا (فَانْتَقَدَهَا) أَيْ قَبَضَهَا. وَ (نَقَدَ) الدَّرَاهِمَ وَ (انْتَقَدَهَا) أَخْرَجَ مِنْهَا الزَّيْفَ وَبَابُهُمَا نَصَرَ. وَدِرْهَمٌ (نَقْدٌ) أَيْ وَازِنٌ جَيِّدٌ. وَ (نَاقَدَهُ) نَاقَشَهُ فِي الْأَمْرِ)([٢]).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة ((نقَد العُملةَ: ميَّزها ونظرها ليعرف جيِّدَها من رديئها "ناقِد عملات".

- **نقَد صديقَه مالاً: أعطاه إيَّاه.**
- **نقَد التّاجرَ الثّمنَ/ نقَد للتاجر الثّمنَ: أعطاه إيّاه نقدًا معجَّلاً.**

---

[١]) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ج٥ ، ص٤٦٧ .

[٢]) مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، ج١ ، ص٣١٧ ، بيروت ، المكتبة العصرية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م . الطبعة الخامسة .

• **نقَد الشّيءَ: بيَّن حسنَه ورديئه، أظهر عيوبه ومحاسنه "لا يُبصر الدينارَ غيرُ الناقدِ: لا يبصر حقيقة الأمر إلاّ الخبير به– نقدُ الشِّعر/ الكلام– ناقد مسرحي".**

• **نقَد النَّاسَ: أظهر ما بهم من عيوب "عرّض نفسه لنَقْد لاذع– يثير نقدًا حادًّا".([١])**

فنُّ تمييز جيّد الكلام من رديئه وصحيحه من فاسده)([٢]).

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن مادة (نَقَدَ) تعطي معنى ظهور الشيء الخفي ، وإبرازه وإيضاحه ، وكذا تمييز الجيد من الرديء ، ويستعمل أيضا في مناقشة الأمر لبيان صحته من فساده ، كما تستعمل تلك المادة في إعطاء الشيء حالا غير مؤجل ، كما في : أعطاه المال نقدا .

ثالثا : لفظة (الاشتراكية) :

تأتي لفظة (اشتراكية) مصدرا صناعيا من (اشتراك) ، والذي يأتي أصلا من الفعل (شَرَكَ) ، وهو يدور في معاجم العربية حول عدة معان ، منها المخالطة والمداخلة أو التداخل .

ففي تاج العروس (وَقد اشْتَرَكا وتَشارَكا، وشارَكَ أَحدُهُما الآخرَ والاشْتِراكُ هُنَا بمَعْنَى التَّشارُكِ)([٣]).

وفي لسان العرب (شَرَك: الشِّرْكَةُ والشَّرِكة سَوَاءٌ: مُخَالَطَةُ الشَّرِيكَيْنِ. يُقَالُ: اشترَكنا بِمَعْنَى تَشارَكنا، وَقَدِ اشْتَرَكَ الرَّجُلَانِ وتَشارَكا وشارَك أَحدُهما الْآخَرَ)([٤]).

وفي المعجم الوسيط ((شركت) : النَّعْل شركا انْقَطع شراكها . وَفُلَانًا فِي الْأَمر شركا وَشركَة وَشركَة : كَانَ لكل مِنْهُمَا نصيب مِنْهُ فَهُوَ شريك.

(أشركه) فِي أمره أدخلهُ فِيهِ ، وَيُقَال : أشرك بِاللَّه جعل لَهُ شَرِيكا فِي ملكه ، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ... يَـٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ... ([٥]) والنعل جعل لَهَا شراكا.

---

[١]) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أ.د / أحمد مختار وآخرون ، ج٣ ، ص٢٢٦٤ .

[٢]) نفس المرجع ، ص٢٢٦٥ .

[٣]) تاج العروس من جواهر القاموس ، مُحَمّد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ج٢٧ ، ص٢٢٣ . مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

[٤]) لسان العرب ، جمال الدين بن منظور ، ج١٠ ، ص٤٤٨ ، مصر ، دار المعارف ، بدون تاريخ .

[٥]) سورة لقمان ، جزء من الآية (١٣) .

(شَاركهُ) كَانَ شَرِيكه وَيُقَال فلَان يُشَارك فِي علم كَذَا لَهُ نصيب مِنْهُ .(شرك) بَينهم جعلهم شُرَكَاء والنعل أشركها.

(اشْترك) الْأَمر اخْتَلَط والتبس وَفُلَان فِي كَذَا دفع أجرا مُقَابل الِانْتِفَاع بِهِ يُقَال اشْترك فِي الصَّحِيفَة أَو فِي السِّكَّة الحديدية وَالرجلَانِ كَانَ كل مِنْهُمَا شريك الآخر . (تشاركا) اشْتَرَكَا.

(الش راك) الطَّرِيقَة من الْكلأ الْأَخْضَر تكون مُنْقَطِعَة عَن غَيرهَا وسير النَّعْل على ظهر الْقدَم (ج) شرك وأشرك

(الشّرك) النَّصِيب (ج) أشراك واعتقاد تعدد الْآلهَة . (الشّرك) حبالة الصَّيْد (ج) أشراك وشرك)([1]).

ويضيف معجم اللغة العربية المعاصرة معنى جديدا ففيه (تشاركت دولتان: تحالفتا، أو صار بينهما شَرِكة(([2])

من هذا كله يتضح أن مادة (شَرَك) تعطي عدة معطيات دلالية ، وأنها تدور حول : المخالطة ، وتداخل الشيء في الشيء ، وكون الشيء له نصيب في شيء آخر ، ويعطي أيضا معنى التحالف بين شخصين أو أمرين ، والانتخاب الدلالي لتلك المعطيات يتضمن انطباق تلك المعاني على ما البحث بصدده وهي (الاشتراكية) ، فهي تدور حول نصيب الدولة في ما للفرد ، وتداخل أشياء الأفراد والدولة في بعضهما ، وتعطي معنى تحالف الأفراد مع الدولة في تملك كل وسائل الإنتاج ، كما سيتضح من التعاريف الاصطلاحية للفظة إن شاء الله تعالى .

– الاشتراكية في الاصطلاح :

نظرا لما شغلته (الاشتراكية) من تأثير بالغ في القرن المنصرم والذي قبله ، ونظرا لما ألقت بظلالها عليه من الفكر والكون والحياة ، فقد تعددت التعريفات لدى هذا المذهب الوضعي كفلسفة جاء بها مؤسسوها ، لها نظرتها الخاصة نحو الفكر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وتجاه هذه الفلسفة التي غالت في أمور كثيرة ، وحملت سمات

---

[1]) انظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ص٤٨٠ .باختصار .

[2]) معجم اللغة العربية المعاصرة ، أ.د / أحمد مختار وآخرون ، ج٢ ، ص١١٩٤

تطرف واضح ، فقد تناولتها أقلام كبار العلماء والباحثين والكتاب بالبحث والتعريف ، ومن هنا فقد تنوعت الرؤى ، واختلفت التعريفات تجاه هذا المذهب .

وفيما يخص تفاعل الدراسات العربية الإسلامية نحو (الاشتراكية) كمذهب فلسفي اقتصادي من الدرجة الأولى ، فقد تعددت التعريفات تجاه هذا المذهب ، وإن كانت جميعا بينها من التقارب ما يوحد وجهتها ، ومن ذلك :

١- أن الاشتراكية (نظام اجتماعي متكامل يختلف عن النظام الرأسمالي ([١]) ، من حيث إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ، وعدم وجود طبقات)([٢]).

٢- أو هي :(نظام اقتصادي غربي الأصل وحركة سياسية ونظرية اجتماعية. ويعتقد أغلب الاشتراكيين أن الحكومات الوطنية أو المحلية، هي التي ينبغي لها امتلاك موارد الأمة واستغلالها وليس الأفراد. وتقوم النظرية الاشتراكية على امتلاك الدولة للأراضي والمصانع وغيرها من وسائل الإنتاج؛ لأنهم يعتقدون أن الشر يدخل من باب الملكية الخاصة)([٣]).

٣- أو : (مذهب اقتصادي وسياسي يعارض النظام الرأسمالي الذي يقوم على الملكية الفردية والمشروع الخاص ، ويدين بالحرية الاقتصادية ويقر الفوارق بين الطبقات ، يؤثر عليه استخدام الملكية للصالح العام ، وهي بهذا المعني الواسع تشمل مجموعة متنوعة من النظريات الاقتصادية)([٤]).

---

[١]) النظام الرأسمالي نسبة إلى الرأسمالية ، وهي : نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية ، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية ، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها ، متوسعا في مفهوم الحرية ، معتمدا على سياسة فصل الدين نهائيا من الحياة . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مجموعة باحثين ، ج٢ ، ص٩٢٠ . الرياض ، مطبوعات دار الندوة العالمية ١٤١٨هـ . الطبعة الثالثة.

[٢]) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، مجموعة علماء ، إشراف : أ.د/ محمود حمدي زقزوق ، ص٦١ . مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .الطبعة الأولى .

[٣]) يراجع : الموسوعة العربية العالمية ، مجموعة مؤلفين ، ج٢ ، ص٢٠١ ، السعودية ، مطبوعات مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م . الطبعة الثانية .

[٤]) الموسوعة العربية الميسرة ، مجموعة مؤلفين ، ج١ ، ص٣١١ ، بيروت ، المكتبة العصرية ، بدون تاريخ ولا رقم طبع .

٤- وأيضا هي (التي تلغي الملكية الفردية للأرض ، ولكل وسائل الإنتاج ، ولكل النقود المالية ، وتجعلها ملكا للدولة ، وتقرر قاعدتها الشائعة (من كلٍ بحسب طاقته ، ولكلٍ بحسب حاجته)([١]).

تلك هي بعض التعريفات المستوحاة من الدارسات العربية في تناولها للفظة (الاشتراكية) ، ويلاحظ على تلك التعريفات ما يلي :

أولا : تكاد تطبق جميع التعريفات السابقة على أن (الاشتراكية) مذهب ، وهذا المذهب له بعض الأبعاد ، لكن بعض الدراسات تقصر تلك الأبعاد على الجانب الاقتصادي فقط ، وبعضها يقصرها على الجانب السياسي فقط ، وبعضها على الجانب الاجتماعي ..الخ ، غير أن التعريف الثاني منها جمع ثلاثة أبعاد فيه ، وأغفل جانبا مهما ، ألا وهو نظرة الاشتراكية الدينية ، وهل هي تعتبر الدين أم لا ؟ وكونها مذهب فليست ديانة أو نحلة أو ما شابه ذلك .

ثانيا : تجمع جميع التعريفات السابقة على شيوعية وعمومية النظرة الاشتراكية في كل ما تناولته تلك النظرة ، من ملكية ووسائل إنتاج ونقود مالية ، ثم تملك الدولة لكل هذا من جانب ، وإلغاء التصرف الفردي فيه من جانب آخر ، وهذا عين ما قامت عليه الاشتراكية في جانبها الاقتصادي .

ثالثا : في بعض تلك التعريفات يلاحظ تعريف الشيء بتعريف نقيضه ، كما في تعريف الاشتراكية بذكر الرأسمالية ، والذي يميل إليه الباحث أن الأفضل هو تعريف الشيء بذكر الخصائص التي اشتمل عليها المعرف دون ما سواه .

رابعا : يُلاحِظ الباحث أيضا في تلك التعريفات اختفاء ما تؤول إليه الاشتراكية بعد تحقيق ما تصبو إليه من أهداف ومقاصد وغايات ، فلم تضع تلك التعريفات أيدينا على ماذا سيحدث للمجتمعات بعد تطبيقها الاشتراكية ، وكون التعريف ينبغي أن يكون جامعا مانعا يقتضي ذلك بلا ريب .

---

[١])كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، ص٢٤٥ ، دمشق ، دار القلم ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .الطبعة الثالثة .

ويمكن تعريف الاشتراكية – من وجهة نظر الباحث القاصرة – في المنظور الاصطلاحي بأنها (مذهب ذو أبعاد متعددة : اقتصاديا وفكريا وسياسيا واجتماعيا ، يقوم على المادة في كل شيء ، يدعو إلى التعميم والتأميم ، وينافي التخصيص والفردية ، بزعم الوصول إلى المساواة بين المجتمعات والطبقات ، غربي المنشأ ، ثوري الاتجاه ، إلحادي المعتقد).

– وكونه – كما في التعريف – : يقوم على المادة في كل شيء – إلحادي المعتقد : تحقيق ما تمت الإشارة إليه من كونه التعريف بالمذهب في نظرته نحو الدين ، وفي هذا التعريف يضع بيد القارئ على ماهية المذهب الدينية ، وهو ما يلاحظ الباحث عدم وجوده في التعاريف السابقة .

– وأيضا في التعريف : يدعو إلى التعميم والتأميم ، وينافي التخصيص والفردية : فيه إطلاق لفكر القارئ بعمومية ما تدعو إليه الاشتراكية ، فليس التعميم في الملكية فقط أو النقود المالية فقط ، فربما قصر التعريفُ التعميمَ على أمور بعينها في حين أغفل ما سواه ، أو ربما قصرها على نفس الأمور في حين أن الاشتراكية أطلقت التعميم في أمور أخرى.

– وأما ما جاء في التعريف : (بزعم الوصول إلى المساواة بين المجتمعات والطبقات) فهو ما رام إليه الباحث من ضرورة ذكر المقاصد والغايات التي ترنو الاشتراكية إلى تحقيقها كقيد في التعريف ؛ حتى يكون جامعا ، والتقييد بلفظة (زعم) فيه إشعار بأن تلك المقاصد الاشتراكية ليست على حقيقتها ، بل إن الواقع أثبت خلاف ذلك .

– وأما كونه (ثوري الاتجاه) : ففيه بيان للوسيلة التي تتخذها الاشتراكية لتحقيق أهدافها ، فإن العنف في المنظور الاشتراكي هو الوسيلة المثلى للوصول إلى تحقيق الأهداف ، وهذا ما سيتم إثباته بإذن الله تعالى في ذكر مبادئ الاشتراكية من واقع كتابات مؤسسي المذهب ومنظريِّه.

رابعا : لفظة (العلمية) :

تأتي لفظة (العلمية) نسبة إلى العلم ، ومادته في معاجم العربية تدور حول عدة معطيات دلالية ، ومنها : الإدراك ، والمعرفة ، والشعور بالشيء .

ففي لسان العرب عَلِمْتُ الشيء أعلمه علما : عرفته .. علم بالشيء : شعر به)([1]).

---

[1]) لسان العرب ، جمال الدين بن منظور ، ج٤ ، ص٣٠٨٣ .

وفيه أيضا (عَلَمَه يَعْلُمُه وَيَعْلِمُه عَلْمَاً : وسمه)([١]).

وفي المعجم الوسيط (عَلِمَ الشيء : عرفه ، وفي التنزيل العزيز . ..وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ..... ([٢]) ، و – الشيءَ وبه : شعر ودرى ، وعلم بالشيء حاصلا : أيقن به وصدَّق .

العلم : إدراك الشيء بحقيقته . و– اليقين .

العَلَمُ : العلامة والأثر ، شيء منصوب في الطريق يُهتدى به)([٣]).

فمن خلال ما سبق يتضح أن مادة (علم) تدور حول إدراك الشيء على حقيقته ، والإيقان به ومعرفته ، وتعطي معنى العلامة والأثر للشيء حتى يتم الوصول إليه ، فضلا عن الدراية والشعور بالشيء .

أما العلم في الاصطلاح فقد أورد له صاحب (التعريفات) عدة مفاهيم اصطلاحية ، ومنها أن العلم (هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع . وقيل : العلم هو : إدراك الشيء على ما هو به . وقيل : زوال الخفاء من المعلوم)([٤]).

وفيما يبدوا فإن تلك التعريفات قريبة من بعضها ، أو أن كلاً منها يؤدي إلى الآخر ، إذ أن الشيء حينما يزول عنه الخفاء فيصبح معلوما ظاهرا ، ومادام كذلك فيتم إدراكه على ما هو عليه حيث حقيقته الظاهرة ، ومن هنا يُعتقد اعتقادا جازما قطعيا لزوال اللبس والخفاء عنه من جانب ، وللوقوف على حقيقته من جانب آخر .

– التركيب الإضافي (الاشتراكية العلمية) :

قد يُتوهم للوهلة الأولى عند وسم الاشتراكية بالعلم أن المقصود من ذلك اقترانها بدلالات مشتقات مادة العلم وما تؤدي إليه من حيث قوة الإدراك أو اليقين والصدق ....الخ ، إذ أن الحقيقة والواقع يشهدان بخلاف ذلك تماما ، فقد تم توجيه سهام النقد

---

[١]) نفس المرجع ، ٣٠٨٤ .

[٢]) سورة الأنفال ، جزء من الآية (٦٠).

[٣]) المعجم الوسيط ، ص٦٢٤ . باختصار .

[٤]) معجم التعريفات ، الشريف الجرجاني ، ص١٣٠ ، رقم التعريف (١٢٣١) . مصر. دار الفضيلة للنشر والتوزيع . بدون تاريخ .

ومعاول الهدم لهذا المذهب حتى ممن ينتمون إليه ، لكن إضافة العلم لهذا المذهب كان لهدف يرمي إليه مؤسس المذهب وواضع لبناته الأولى ، وهو كارل ماركس ([١]) ، إذ أنه أراد بوصفها بالعلم أن يميزها عن عدة اشتراكيات أخرى سبقت اشتراكيته ، لكنه عابها ونقدها ورأي أنها جميعا لا تسعفه في مقاله ، فأطلق عند ذلك وصف العلم على اشتراكيته حتى يميزها عن تلك الاشتراكيات .

فهذا المذهب (نادي به ماركس في القرن التاسع عشر ؛ ردا على الاشتراكية التي سماها الخيالية ، التي دعا إليها سان سيموس ([٢]) ، ولويس بلان ([٣]) ، وروبرت أوين ([٤]) وغيرهم)([٥]).

وتلك الاشتراكيات التي سبقت كارل ماركس كانت متفقة على مبدأ واحد ، وهو رفض الظلم الاجتماعي والدعوة إلى تقرير مبدأ العدل وشيوع الأمر على عامة الشعوب ، (ولكنهم يختلفون فيما عدا ذلك ، فهذا يميل إلى التعاونية ، وذاك يود اختفاء نظام الإرث، وثالث يرمي تبعة المظالم على النقود والربح ، ورابع لا يرى خلاصا إلا بإلغاء الملكية الفردية ، ويمكن أن نذكر منهم (سان سيمون ، ولوس بلان وروبرت أوين ...الخ

---

[١]) (كارل ماركس (١٨١٨– ١٨٨٣م) : فيلسوف اشتراكي ألماني ، من أصل يهودي ألماني ، مؤسس الاشتراكية العلمية ، وواضع مبدئها وأصولها . درس القانون في (بون) وبرلين بألمانيا ، ثم انصرف إلى الاقتصاد والفلسفة الاجتماعية .من كتبه (رأس المال – بؤس الفلسفة – العمل المأجور) وغيرها . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج٦ ، ص٢٩٦٥ .

[٢]) سان . سيموس، الكونت دو (١٧٦٠ . ١٨٢٥م). اسمه الأصلي كلود هنري دي روفروي. مؤسس الاشتراكية الفرنسية ، وفيلسوف اجتماعي فرنسي .كان من آرائه أن قادة الصناعة والعلم عليهم أن يعيدوا تنظيم الدولة ويوجهوها ؛ حتي يقيموا نظاما اجتماعيا أفضل . من أعماله (المسيحية الجديدة – آراء في الملكية والتشريع) . ينظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ، ج٤ ، ص١٧٨٤ .

[٣]) لم أعثر له على ترجمة .

[٤]) روبرت أوين. (١٧٧١–١٨٥٨م). مصلح اجتماعي ومفكر اشتراكي إنجليزي . ولد في مقاطعة ويلز وكان أحد رواد الحركات التعاونية. حاول أن يبرهن – كرجل أعمال – أن من مستلزمات التجارة الناجحة الاهتمام برفاهية الموظف. أسس أوين جمعية نيو هارموني الشهيرة في إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٢٥م. من كتبه (نظرة جديدة إلى المجتمع) . ينظر : نفس المرجع ، ج١ ، ص٥٣٧ .

[٥]) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مجموعة باحثين ، ج١ ، ص٩٦٧ .

وفي وسط هذا الخضم الفكري ظهر كارل ماركس فأطلق جام غضبه عليهم جميعا ، ونعت أفكارهم بالاشتراكية الخالية)([١]).

وعدة نقاط مختلفة كانت هي الفاصلة بين تلك الاشتراكيات التي سبقت اشتراكية ماركس ، حيث إن الأولى كانت تمهيدا للإصلاح ودعوة الناس إلى ذلك ، ولكنها لا تحمل حتمية أو إلزاما ، بخلاف الاشتراكية العلمية التي ابتدعها مؤسسها ، (حيث إن الاشتراكية عنده ليست دعوة تقبل أو ترفض ، إنما هي مرحلة حتمية تؤول إليها الرأسمالية بناء على تفاعل قوانين لا قِبَل للأفراد بمعارضتها أو الوقوف في طريقها)([٢]).

وفي أول باكورة عمل للمؤسس المذهب مع صديقه (إنجلز)([٣]) وهو المسمى بـ (بيان الحزب الشيوعي) ذكر تلك الاشتراكيات التي حازت على رفضه وغضبه منها ، وهي :

١– الاشتراكية الرجعية، وهي تشمل :

أ– الاشتراكية الإقطاعية.

ب– الاشتراكية البرجوازية الصغيرة.

ج– الاشتراكية الألمانية أو الاشتراكية "الصحيحة".

٢– الاشتراكية المحافظة أو الاشتراكية البرجوازية.

٣– الاشتراكية و الشيوعية النقديتان الطوباويتان([٤]).

---

[١]) الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، ص٣١١ .

[٢]) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ج٢ ، ص٩٦٧ ، ٩٧٨ .

[٣]) فريدريك إنجلز (١٩٢٠ – ١٨٩٥م) : اشتراكي ألماني ، أسهم مع كارل ماركس في وضع الشيوعية الماركسية ، وفي صياغة (البيان الشيوعي) الشهير في ١٨٤٨م . بعد أن اشترك في تدبير الحركات الثورية في أوربا ، كان من رجال الأعمال الناجحين . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، ص٤٦٥ .

[٤]) للوقوف على تلك الاشتراكيات من حيث مفهومها – تاريخها – محتواها ، وسبب نقد ماركس لها ، انظر : بيان الحزب الشيوعي ، كارل ماركس – فردريك إنجلز ، ص١٩ : ٢٣ . مصر ، مطبعة روافد ٢٠١٤م .وكانت أول طبعة صدرت من بيان الحزب الشيوعي في مارس ١٨٤٨م . نفس المرجع ، ص١٠٨ .

فهذه هي أهم الحركات والنظريات الاشتراكية التي سبقت كارل ماركس ، وقد ضمنها بيانه وقام بشرحها والتعليق عليها وبيان سبب رفضه لها ، ومن هنا فقد (كان تحليل الاشتراكية العلمية الذي تم شرحه في البيان أول محاولة بسيطة من قبل المؤلفين لتعريف شكل الاشتراكية والشيوعية الخاصة بهما ، بالمقارنة مع أشكال الاشتراكية الأخرى، التي نشأت في إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، خلال أربعينيات القرن التاسع عشر ، وكان لديهما خبرة مباشرة بعدد هذه الاتجاهات)([1]).

من هذا كله يتضح أن السبب في وصف الاشتراكية بالعلمية هو محاولة مؤسسها مغايرتها لما سبقها من اشتراكيات ، وإن كانت جميعا تتفق من حيث الهدف والوجهة ، لكنها تختلف من حيث الأسلوب والوسيلة ، ومن هنا اختلف عنها كارل ماركس وهاجمها جميعا .

خامسا : كلمة (فكر) :

تمثل لفظة (فِكْر) مصدرا للفعل (فَكَرَ) ، وله عدة معطيات دلالية في اللغة ، تدور حول التأمل وإعمال النظر العقلي في الشيء.

فقد جاء في مختار الصحاح (((التَّفَكُّرُ) التَّأَمُّلُ وَالِاسْمُ (الْفِكْرُ) وَ (الْفِكْرَةُ) وَالْمَصْدَرُ (الْفَكْرُ) بِالْفَتْحِ وَبَابُهُ نَصَرَ. وَ (أَفْكَرَ) فِي الشَّيْءِ وَ (فَكَّرَ) فِيهِ بِالتَّشْدِيدِ. وَ (تَفَكَّرَ) فِيهِ بِمَعْنًى. وَرَجُلٌ (فِكِّيرٌ) بِوَزْنِ سُكَّيْتٍ كَثِيرُ التَّفَكُّرِ)([2]).

وفي لسان العرب (فكر: الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ؛ قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَلَا يُجْمَعُ الفِكْرُ وَلَا العِلْمُ وَلَا النظرُ..)([3]).

وفي المعجم الوسيط : (فكر) فِي الْأَمر فكرا أعمل الْعقل فِيهِ ورتب بعض مَا يعلم ليصل بِهِ إِلَى مَجْهُول.

(أفكر) فِي الْأَمر فكر فِيهِ فَهُوَ مفكر.

---

[1]) ملاحظات حول البيان الشيوعي ، ليند ساي جرمان ، ص٣٠ ، مطبوعات مركز الدراسات الاشتراكية ، بدون ذكر اسم البلد وسنة الطبع .

[2]) مختار الصحاح ، ج١ ، ص٢٤٢ .

[3]) لسان العرب ، جمال الدين بن منظور ، ج٥ ، ص٣٤٥١ .

(فكّر) فِي الْأَمر مُبَالغَة فِي فكر ، وَهُوَ أشيع فِي الِاسْتِعْمَال من فكر وَفِي المشكلة أعمل عقله فِيهَا ليتوصل إِلَى حَلفهَا فَهُوَ مفكر وَفُلَانًا بِالْأَمر أخطره بِبَالِهِ (محدثة).
(افتكر) تذكر وَفِي الْأَمر أعمل عقله فِيهِ.
(تفكر) فِي الْأَمر افتكر.
(التفكير) إِعْمَال الْعقل فِي مشكلة للتوصل إِلَى حلهَا.
(الْفِكر) إِعْمَال الْعقل فِي الْمَعْلُوم للوصول إِلَى معرفَة مَجْهُول وَيُقَال : لي فِي الْأَمر فكر : نظر وروية ، وَمَا لي فِي الْأَمر فكر : مَا لي فِيهِ حَاجَة وَلَا مبالاة . (ج) أفكار.
(الْفِكر) يُقَال لَيْسَ لي فِي هَذَا الْأَمر فكر: لَا أحتاج إِلَيْهِ وَلَا أُبَالِي بِهِ.
(الفكرة) الْفِكر وَالصُّورَة الذهنية لأمر مَا)([1]).

ومن خلال تلك النصوص يتضح أن مادة (فَكَرَ) تعطي معنى التأمل ، وإعمال العقل في الشيء ، وهو مرتبط بالذهن أو الصورة الذهنية ، وهو بهذا يرتبط بالجنس البشري ، إذ هو المنوط بهذا الفكر أو التفكر .

سادسا : التعريف بالشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – :

من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ، والذين أثروا فيه بما تركوه من ميراث علمي رصين ، وبما دعوا إليه من إصلاح وتجديد ، وبما قاموا به من تقويم لما كان معوجا في زمانهم ، فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الراحل الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، فقد ترك الشيخ – رحمه الله تعالى – تركة علمية جليلة ، هذا إلى جانب جهوده ومنهجه الخاص الذي أخذ به في حياته ، بما يمثل حلقات منتظمة متواصلة ، يرتبط بعضها ببعض في تناسق وتناغم ، وجاء كل هذا بفضل الله تعالى وتوفيقه للشيخ –رحمه الله تعالى .

فالشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ – ١٣٨٣ هـ = ١٨٩٣ – ١٩٦٣ م) : فقيه مفسر . ولد في مدينة بني منصور بالبحيرة ، وتخرج بالأزهر في (١٩١٨ م) ، وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧م) ، وكان داعية إصلاح نيّر الفكرة ، يقول بفتح باب الاجتهاد . وسعى إلى إصلاح الأزهر ، فعارضه بعض كبار

[1]) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ص٦٩٨ .

الشيوخ ، فطرد هو ومناصروه ، فعمل في المحاماة (١٩٣١ – ١٩٣٥م) ، ثم أعيد إلى الأزهر ، فعُيّن وكيلا لكلية الشريعة ، ثم كان من أعضاء كبار العلماء (١٩٤١م) ، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦م) ، ثم شيخا للأزهر ، إلى وفاته . كان خطيبا موهوبا جهير الصوت ، تفقه في مختلف نواحي الحياة الدينية والاجتماعية ، كان بصيرا بالأحكام الشرعية الملائمة لحاجات الناس ومقتضيات العصر ، ومفسِّرا ألمَّ بكتاب الله تعالى وسنن الكون ، وعالما اجتماعيا يعرف أمراض المجتمع ووسائل علاجها .

ولقد أجمع العلماء وأهل الرأي أن التوفيق قد حالف الأزهر عندما ولي أمره الشيخ شلتوت – رحمه الله تعالى – ، فوجد فيه مفكراً وعالما من اليقظة الفكرية والدراية العلمية ما يمكنه من القيام بدوره .

وتقديرا للشيخ شلتوت منحته جامعي شيلي الدكتوراه الفخرية عام ١٩٥٨م ، كمت منحته جامعة جاكرتا الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٠م .

له (٢٦) مؤلفاً ، من مؤلفاته : القرآن والقتال – القرآن والمرأة – فقه القرآن والسنة – الدعوة المحمدية – الفتاوى – من توجيهات الإسلام – عنصر الخلود في الإسلام – الإسلام والتكافل الاجتماعي – الإسلام والوجود الدولي – فصول شرعية اجتماعية – وأحاديث الصباح في المذياع – وغيرها ([1]).

ومن هنا نجد أن الشيخ – رحمه الله تعالى – قد جمع بين أصالة علمية رصينة ، ودراية معاصرة قوية ، مع نعمة الله تعالى عليه من نظر ثاقب وفكر مستنير ، ليجمع بين أكثر من علم ، ويتكلم في أكثر من فن .

رحم الله الفقيد الراحل الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجعل مثواه جنان الخلد ، برحمته ومنته سبحانه وتعالى .

---

[1]) انظر : الأعلام ، ج٧ ، ص١٧٣ .مصر ، دار العلم للملايين ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م . الطبعة الخامسة . و : مجلة الأزهر ، السنة (٣٦) ، ج٦ ، ص ٦٤١ : ٦٥٧ ، شعبان ١٣٨٣هـ – يناير ١٩٦٤م . و : الأزهر في ألف عام ، د / مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، ج٣ ، ص٤٤٣ ، ٤٤٤، مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م . الطبعة الثالثة .

ثانيا : تاريخ المذهب الاشتراكي ، وبيان مبادئه وأصوله ، وكذا خطورته وآثاره :

لا مرية في أن المذهب الاشتراكي منذ بزوغه والدعوة إليه وتشييد أركانه إلى وقتنا هذا ، وهو يمثل حلقات منتظمة في الدراسات التي تناولته من جوانب متعددة : من حيث نشأته ، وتاريخه ، ومبادئه ، وأصوله ، وآثاره ، وخطورته ، وما ذلك كله إلا لما أحدثه هذا المذهب من آثار عقدية وفكرية واجتماعية وسياسية خطيرة ، سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات ، وهو ما يؤكده الواقع من ناحية ، ومبادئ المذهب التي تطفح بها كُتُب مؤسسيه من ناحية أخرى .

كان مولد هذا المذهب على يد صاحبه الفيلسوف الألماني كارل ماركس إبان القرن التاسع عشر ، معارضا به المذهب الرأسمالي ، ومخالفا في الوقت ذاته عدة اشتراكيات أخرى خالفها في الأسلوب وإن كان متوافقا معها من حيث النقمة على الرأسمالية .

وقد عبَّر ماركس عن أفكاره الاشتراكية الرئيسية بداية في (اليان الشيوعي) عام ١٨٤٨ م ، بالاشتراك مع صديقه فردريك أنجلز ([١]).

ولكن ليس معنى مولد هذا المذهب على يد صاحبه كارل ماركس أنه أول من نادى بالاشتراكية كفكرة اجتماعية تحارب الظلم وتنادي بالعدل ، فقد سبقه إلى ذلك أكثر من فرد ، لكن المقصود هو ميلاد (الاشتراكية العلمية) بمبادئها وأصولها التي عرفت بها([٢]) .

ومنذ ذلك الوقت وتوالت بعدها كتابات وبيانات ومؤلفات المذهب الاشتراكي من قِبَل كارل ماركس المؤسس ، وصديقه فردريك أنجلز ، من حيث التقعيد والتأصيل للمذهب .

---

[١]) الموسوعة العربية العالمية ، ج٢ ، ص٢٠٢.

[٢]) ولذلك فـ(النزعة الاشتراكية ليست وليدة النظام الرأسمالي ، فهي بمعنى عام تناهض الظلم الاجتماعي ، ولذلك وجدت في كل العصور ، فنجدها عند أفلاطون (الجمهورية) ، وتوماس مور ، وأهل المدينة الفاضلة للفارابي .

وكل هذه الكتابات تتصور مجتمعا مثاليا بريئا من الأوضاع التي تشين المجتمع الواقعي ، كذلك لم تخل الديانات السماوية من أفكار وحركات تتضمن بعض بذور الاشتراكية). الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، ص٣١١ .

مبادئ وأصول الاشتراكية :

قام المذهب الاشتراكي على عدة أصول ومبادئ أصبحت علامة بارزة له ، اختص بها عن غيره حتى عُرف بها ، وهذه المبادئ إجمالا هي :

١- الواجب أن نبدأ بدراسة الواقع الاجتماعي الحسي ، دراسة (العلاقات التجريبية) ؛ لأن هذه العلاقات هي التي تفسر تصوراتنا وأفكارنا ، وليس العكس .

٢- العمل المنتج ، وأشكال تقسيمه ، هي التي تشكل (مسرح التاريخ الحقيقي) .

٣- التغيير يبدأ أولا من تغيير أوضاع الناس الاجتماعية ؛ لأن تغيير الواقع الاجتماعي هو الذي يصدر عنه الوعي ، ولا يبدأ التغيير بالوعي أولا .

٤- أصل جميع النزعات في التاريخ هو في القوى المنتجة وشكل التعامل .

٥- الدعوة إلى إقامة اقتصاد منزلي مشاعي. ٦- الدعوة إلى الغاء الأسرة .

٧- في الجماعة فقط يملك كل فرد وسائل تنمية مواهبه في جميع الاتجاهات ، وبالتالي فإن الحرية الشخصية لا تكون ممكنة إلا في الجماعة).

٨- الأفراد الذين يسعون للتعبير عن أنفسهم كأفراد عليهم أن يطيحوا بالدولة التي تقف كمعارضة لهم في هذا.

٩- أي نشاط للأفراد ما هو إلا شكل مادي، يتوقف عليه كل شكل آخر: ذهني، وسياسي، وديني.

١٠- من طبيعة العمل بالذات أن جميع العلاقات السابقة لم تكن سوى علاقات أفراد يحيون في شروط معينة ، وليست علاقات بين أفراد من حيث هم أفراد ([1]).

١١- أتأخذون علينا أنّنا نريد إلغاء استغلال الآباء لأبنائهم؟ هذه الجريمة نعترف بها، لكن تقولون إننا، بإحلال التربية المجتمعية محلّ التربية البيتية نقضي على أكثر العلاقات حميمية.

١٢- محاولة إشاعة النساء أيضا ، (و قصارى ما يمكن أن يُلام عليه الشيوعيون، هو أنهم يريدون إحلال إشاعة رسمية و صريحة للنساء محل إشاعة مستترة نفاقا، وباختصار يُساند الشيوعيون، في كل مكان، كل حركة ثورية ضد الأوضاع المجتمعية و السياسية القائمة ([1]).

---

[1]) للوقوف على تلك المبادئ من رقم (١) إلى (١٠) يُنظر : الأيدولوجية الألمانية – مصادر الاشتراكية العلمية ، كارل ماركس ، فريدريك إنجلز ، ترجمة : د / فؤاد أيوب ، ص ١١: ٨١ ، دمشق : دار دمشق ، بدون تاريخ ولا رقم طبع .

١٣– و يأنف الشيوعيون من إخفاء آرائهم و مقاصدهم، و ينادون علانية بأن لا سبيل لبلوغ أهدافهم إلا بإسقاط النظام المجتمعي القائم، بالعنف. فلترتعد الطبقات السائدة خوفا من ثورة شيوعية .

١٤– كل انتفاضة ثورية، مهما بدا هدفها بعيدا عن النضال الطبقي، ستظل تمنى بالإخفاق إلى أن تنتصر الطبقة العاملة الثورية.

١٥– إن العلاقات الاجتماعية التي ينتج الأفراد بموجبه أي علاقات الإنتاج الاجتماعية، تتغير و تتحول مع تغير وسائل الإنتاج المادية و تطوره، مع تغير القوى المنتِجة و تطورها. وعلاقات الإنتاج تشكل بمجموعها ما يسمى العلاقات الاجتماعية، المجتمع، تشكل مجتمعا في مرحلة معينة من التطور التاريخي مجتمعا مميزا معينا([٢]).

١٦– تدعي الماركسية أن الذي يعتقد من الناس في القيم أنها أزلية : أي يعتقد بقيم خالدة ، هو مصدق بأشياء لا توجد في هذه الطبيعة ، حتى هؤلاء الذين يعتقدون أن بعض القيم يجب أن يحتفظ بها في الوقت الحاضر أو الحال الراهن ، هم مصدقون أيضا بما لا يقع)([٣]).

١٧– الإيمان بقوة العقل ، وكون الاقتصاد يحرك التاريخ ، وكذا أن الفعل يسبق النظرية.

١٨– رؤية كارل ماركس للعالم ترتكز في المقام الأول على التنديد بالعمل ، وبتجريده ، وبما يفضي إليه من انتزاع للمرء من نفسه وللآخرين ، والعمل هو الذي ينتج التاريخ .

١٩– الاشتراكية الشيوعية لن تكون إلا على نطاق عالمي ([٤]).

تلك هي أهم المبادئ التي قامت عليها الاشتراكية العلمية ، أو الشيوعية الماركسية كما في إحدى مسمياتها ، وفيما يبدو للباحث فإن هنالك بعض الملاحظات على تلك المبادئ، ومنها من وجهة نظره القاصرة ما يلي :

– تقرير كل ما هو حسي والتأكيد عليه والعمل على إبرازه .

---

[١]) للوقوف على تلك المبادئ الاشتراكية من رقم (١١) إلى (١٢) ، يُنظر : بيان الحزب الشيوعي ، ص١٥ : ٢٧ . .

[٢]) للوقوف على تلك المبادئ الاشتراكية من رقم (١٣) ، إلى (١٥) يُنظر : العمل المأجور ورأس المال ، كارل ماركس ، ترجمة : إلياس شاهين ،ص٢١ ، ٤٢ ، ٤٣ . موسكو ، دار التقدم ١٨٩١م .

[٣]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د / مُحَمَّد البهي ، ص٣٢٩ . مصر ، مكتبة وهبة ، بدون تاريخ طبع .

[٤]) انظر : كارل ماركس أو فكر العالم ، جاك أتالي ، ترجمه عن الفرنسية : مُحَمَّد صبح ، ص٣٨٣ : ٣٨٨ . دمشق ، دار كنعان ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨ م . الطبعة الأولى . باختصار .

– ثورية المبادئ والدعوة إلى مهاجمة الدولة أو أي نظام .

– العمل على إشاعة كل شيء ، وجعله مشاعا عاما لا يملكه أحد إلا الدولة التي ستقوم في المنظور الاشتراكي الشيوعي.

– الوقوف بالتضاد ضد التاريخ والمبادئ المسلم بها وعدم القرار بها أو الإذعان لها .

– العمل على إلغاء أي شيء شخصي (الملكية – الحرية – الأفكار ....الخ) .

– عدم وجود أي شيء ثابت أو أزلي في الفكر الفلسفي الشيوعي ، بل كل شيء طارئ أو جديد أو مستحدث ليس له قيمة ثابتة .

– مخالفة المعهود من كون العمل ينطلق أولا من التفكير ، والتطبيق من التنظير ، وهي هنا تجعل العمل أولا قبل النظرية ، والواقع الاجتماعي قبل الوعي .

– الجمع بين متناقضات متعددة في الفكر الشيوعي الاشتراكي واضح لا غموض فيه ، فهي تحارب الأسرة ، وتبعية الأبناء لآبائهم ، وفي الوقت ذاته تدعو إلى جماعة عامة شيوعية ، ففي الأول تحارب الأسرة باعتبارها جماعة صغيرة ، وفي الثانية تدعو إلى الجماعة الأم ، فكيف تحارب الجماعة الصغيرة وتدعو إلى الكبيرة ، مع أن الكبيرة تتكون من الصغيرة لا محالة . وفي حين ينكرون كل شيء معنوي غير حسي ، فهم يرفعون العقل مع أنه غير محسوس .

وفي حين تلغي التربية البيتية لتحل محلها التربية المجتمعية فهذا في قمة التناقض أيضا ، إذ إن الثاني مرتبط بالأول وقائم عليه بلا ريب .

– ربط كل شيء بالاقتصاد ووسائل الإنتاج والعمل أمر ظاهر للعيان ، فكل شيء مرتبط بالاقتصاد في الفكر الفلسفي الشيوعي الاشتراكي ، فالتاريخ ، والطبقات ..كل هذا مرتبط بالاقتصاد...الخ .

– يبني الاشتراكيون مبادئهم وتغييرهم على العنف ، فهو الوسيلة الوحيدة للتحقيق المآرب وتحقيق المقصود ، وماعدا ذلك فليس بوسيلة معتبرة عند الاشتراكيين .

– الواضح أيضا من تلك المبادئ السابقة شيوع (الخيالية) والبعد التام الحقيقي عن الواقع ، فهي تقرر أن من يؤمن بما لا تعتقده يعتقد بما لا يقع ، وفي الوقت ذاته تدعو إلى أمور خيالية لا يمكن واقعيتها بحال .

– يلاحظ الباحث أيضا ضيق أفق مؤسسي الاشتراكية ، فهم يحصرون تحرك التاريخ في قوى الإنتاج والاقتصاد فقط ، مع أن هناك أمورا أخرى كثيرة دافعة للتاريخ ، ويجعلون العنف الوسيلة الوحيدة للتغيير ، مع أن هناك أيضا وسائل متعددة للتغير المطلوب ، فهذا كله ينم عن ضيق أفق

الاشتراكية وحصرها أمورها في دائرة ضيقة لا تتعداها ، مع أن نفس تلك الأمور تحتمل أشياءً أخرى .

– في ظني أيضا أن الاشتراكية تهاجم كل شيء منظم أو قائم على التنظيم ، فهي تهاجم الدولة وهي قائمة على نظام ، وتهاجم الأسرة وهي قائمة على تنظيم ، وتحارب القيم الثابتة المنظمة ، وبالتالي يتنج عن ذلك فوضى عارمة لا يقوم معها ثبات أو شيء منظم .

خطورة المذهب الاشتراكي وبيان آثاره :

إن المتمعن في تلك المبادئ الاشتراكية السابقة ، سيجد أنها انطوت على عدة أمور تحمل خطورة بالغة ، تمتد آثار تلك الخطورة لتشمل نطاقات واسعة على مستوى الأفراد والجماعات ، وكذا مستوى الأفكار والعقول ، وفوق كل هذا وقبله مستوى الأديان وما تدعو إليه .

وهذا الذي دعا كثيرا من الباحثين المسلمين وحتى غيرهم مِن تناول هذا المذهب بالنقد وبيان معاول الهدم فيه وثغرات ما يقوم عليه .

ومن أخطر ما يقوم عليه المذهب الاشتراكي في أساسه : التغيير ، إذ أنه يقوم (على التغيير ، وأن كل شيء يتغير ، حتى القيم والمعاني ، فالخير والجمال والحق ، وبالتالي الأخلاق والدين : تتغير ، فليست هناك قيم ثابتة ، ولا معان عامة لها اعتبارها الدائم في كل وقت ، (والله) لذلك ليس له معنى ثابت)[1].

ومعنى ذلك أن الناس لا تجد ما تفزع إليه من أمور ومبادئ وقيم ثابتة تكون الفيصل والمرجع لها ، وبالتالي فهذا يقرر ما يشبه بشريعة الغاب والبقاء للأقوى ، وأن ما يدعو إليه الإنسان اليوم سرعان ما يتركه إلى غيره غدا ، ومن هنا فإنها تربي أتباعها على فقدان الهوية ، وضياع المبدأ ، والانسلاخ من كل ما هو ثابت .

وهذه الخطورة التي يقوم عليها المذهب الاشتراكي في الحقيقة إنما تنبع من فكر وعقل مؤسسه الذي أفرز كل أفكاره في صورة مبادئ تقوم عليها تلك الاشتراكية ، ثم دعا إليها وعمل على إبرازها ، وهذا يؤكد دائما أن(فهم جميع المذاهب يستلزم على الدوام

---

[1]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د/ مُحَّد البهي ، ص٣٥٣ .

فهم صاحب المذهب : بلوازمه العقلية ، وبواعثه النفسية ، وخلائقه التي توحي إليه بالفكر والشعور ، أو يستعان بها على أفكاره ودوافع شعوره .

وفهم (كارل ماركس) بصفة خاصة ألزم ما يكون لفهم مذهبه الذي سوَّل له – في هذه السهولة – أن يهجم على دعوة لا تقنع بما دون هدم العالم الإنساني القائم... إن شهوة الهدم والتخريب هي التي توحي إلى صاحبها الثقة التامة العامة بتلك النبوءات الأبدية ، في غير هوادة ولا توسط ولا اعتدال)([1]).

وعلى هذا تكون الخطورة الكامنة في الاشتراكية ليست على الفكر الإسلامي فقط ، أو على المسلمين دون غيرهم ، بل هي دعوة هدامة ومذهب ذو خطورة على جميع الفكر الإنساني عامة دون تخصيص .

وغير خاف أن خطورة الاشتراكية ليست محصورة في مجال دون غيره ، بل لخطورة هذا المذهب وتعدد صورها (أي الخطورة) فقد شملت كثيرا من المجالات دون استثناء .

ففي المجال الاقتصادي يُلاحَظ ، (أن معدلات الضريبة الضمنية الاستثنائية في ارتفاعها في الأنظمة السوفيتية الطابع قد انطوت على تدخل مبالغ فيه في الأسواق ، الأمر الذي شجع على الفساد في الأنظمة الشيوعية)([2]).

وهذا الفساد الحاصل والناتج من هذه الاشتراكية الشيوعية لا ريب أنه ليس واقعا تباعاته على أنظمته فقط ، بل هو يشمل صورا متعددة تعدت في خطورتها تلك الأنظمة التي تبعتها .

وفوق هذا يؤدي انحصار الملكية في يد الدولة فقط وسلب الفرد ملكيته إلى ضعف الحافز الذي يدفعه إلى تكثير الإنتاج (مما يجعل مصلحة كل منها مصلحة ضيقة

[1])الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام ، أ / عباس محمود العقاد ، ص٢٢ ، ٢٣ . بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، بدون تاريخ طبع . باختصار .

[2]) السلطة والرخاء : نحو تجاوز الديكتاتوريتين الشيوعية والرأسمالية ، د/ منصور أولسون ، ترجمة : د / ماجدة بركة ، ص٢٠٥ . بيروت ، المنظمة العربية للترجمة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م . الطبعة الأولى .

فقط ، أي أن حافزها للحفاظ على إنتاجية المجتمع يغدوا ضئيلا أو حتى معدوما، وعندما بدأت الشيوعية بالانحدار ،كان مقدرا لها أن تنهار)([1])

ولم يسلم المجال الاجتماعي من خطورة عليه من تبعات الاشتراكية وآثارها ، فقد كان(للنظام الماركسي انطباعات أخرى من الناحية الاجتماعية ، حيث يؤدي إلى ظهور النزعات الديكتاتورية ومعها معاناة الشعوب ، فحالة كحالة روسيا أكبر دليل على ذلك)([2]).

وفحوى النص ودلالاته ليست مقصورة على المجال الاجتماعي فقط ، بل من ظاهر النص أنه ينجر بطبيعة الحال إلى فساد قوي وظاهر في المجال السياسي ، إذ أن تلك الديكتاتورية المرذولة تختص بالمجال السياسي كما هو معلوم .

وفي المجال الأخلاقي والفكر السامي يُلاحظ أن الاشتراكية تقتل كثيرا من المعاني الفاضلة والأخلاق الحميدة ، وتستبدلها بمتضادات لا تمت إلى الأخلاق القيمة بأي صلة ، ففي (واقع الأمر : أن جميع الأفراد في النظام الشيوعي أجراء ، ولكن لا حرية لهم في قبول العمل أو في اختياره ، هم جنود محاربون ، لكن لا في سبيل الوطن أو في سبيل الله تعالى ، أو بدافع التضحية لذات التضحية ، وإنما هم مساقون بالدفع من الخلف ، والسوط في هذا الدفع الخلفي هو الذي ينطق ، دون التذكير بمعاني المجد والحرص على سلامة الوطن)([3]).

وبهذا تموت معاني الفضيلة في نفوس أتباع المذهب الاشتراكي ، إذ أن ما يسوقهم هو رادع الخوف من البطش والتنكيل والقتل لا محالة ، وهذا يجر بطبيعة الحال إلى مراقبة مؤقتة فقط ، إذ حينما يغيب البطش والتنكيل البشري يقل الوازع ، وتموت المراقبة، ويفقد الإنسان حياة الضمير .

---

[1]) السلطة والرخاء : نحو تجاز الديكتاتوريتين الشيوعية والرأسمالية ، د/ منصور أولسون ، نفس المرجع ، ص٢٠٩ .

[2]) الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة ، يوسف كمال ، ص١١٣. مصر (المنصورة) ، دار الوفاء ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م . الطبعة الثانية .

[3]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ، د / مُحَّد البهي ، ص٣٨٣.

وليت الخطورة الماثلة في الاشتراكية تقف عند حد البلاد التي غلبتها قهرا وعدوانا ، بل تعدت الخطورة إلى أبعد من ذلك ، حيث تشرئب إلى بلاد أخرى تتطلع إليها وتحاول التهامها ، فـ(لم يقف طمع الشيوعية عند الأقطار الإسلامية التي التهمتها ، بل تطلعت إلى الأقطار الإسلامية الأخرى ، وفي كل بلد دخلته الشيوعية كانت شديدة الوطأة على المسلمين ، فعندما تحول الحكم في إثيوبيا (الحبشة) إلى الشيوعية ضربت المسلمين في المقاتل ، وضربت مسلمي إرتريا ، وكذلك فعلت في فيتنام الجنوبية)([1]).

هذه بعض نصوص تبين ما للاشتراكية من خطورة ماحقة ، لا تقتصر على جانب دون آخر ، بل تعدت جميع الجوانب وشملتها ، مما يؤكد بالغ خطورتها وشديد آثارها .

ومن خلال هذه النصوص مجتمعة يتقرر ما يلي :

أولا : إن خطورة الاشتراكية ليست محصورة في مجال دون غيره ، بل شملت تلك الخطورة جميع المجالات دون استثناء.

ثانيا : مع الاعتداد الكامل من الاشتراكية بالمادة والمحسوس دون ما سواه ، فقد تعدت خطورتها عالم المعاني والأفكار أيضا ، ومثَّلت غبشا فكريا في مرآة الفكر الصحيح .

ثالثا : لم تقتصر تلك الخطورة الماثلة في المذهب الاشتراكي على أتباعه أو المنطوين تحت لواء الدولة التابعة له ، حيث الظلم والقهر والاستعباد ، بل شملت أيضا تلك الخطورة المسلمين أيضا ، وعانوا منه ويلات الظلم والقتل والتشريد .

رابعا : لم تراع الاشتراكية نتائج تلك المبادئ التي وضعتها ، والتي طالتها هي الأخرى فلم تسلم منها ، وآكد ما يدل على هذا هو ما تقدم من ضعف الحافز المؤدي إلى كثرة الإنتاج لفقدان الفرد ملكيته الخاصة به ، مما يجعل حرصه على تكثير الإنتاج العام ضئيلا وضعيفا.

---

[1]) الشيوعية : خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص٨ . السعودية ، دار الأندلس ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م . الطبعة الأولى .

الفصل الأول

نقد الاشتراكية العلمية في فكر الشيخ محمود شلتوت فيما يخص الجانب العقدي.

توطئـة:

لا مرية في أن فهم أي نظام أو مذهب والوقوف على طبيعته وكنهه ، والإلمام بلوازمه وآثاره ونتائجه ، يستلزم بالضرورة الوقوف أولا على موقف هذا المذهب من الدين والتدين أولا ، وهل هو قائم على أبعاد دينية أو ينكرها تماما ، أو يخفيها باطنا وينكرها ظاهرا ، وهذا أمرٌ في غاية الأهمية وبالغ المكانة وعظيم التأثير في فهم ما يراد فهمه من المذاهب والأحزاب والتيارات المختلفة ، إذ (إن النظام الذي يرضاه المجتمع لنفسه ينمو عضويا من معتقد الإنسان عن الكون والحياة ودور الإنسان فيه ، ولا يمكن عزل أي نظام اجتماعي عن جذوره العقدية)([1]).

وفيما يبدوا للباحث ، ومن وجهة نظره المتواضعة ، فإن أهمية الوقوف على طبيعة المذهب من حيث تكوينه الديني من عدمه ، راجع في الأهمية والتأثير إلى عدة عوامل ، وهي :

أولا : إن التدين له عظيم الأثر في توجه الإنسان ، والتحكم في فكره وعقله ، وهذا بالضرورة تظهر آثاره على مبادئ وأصول أي مذهب أو تيار ، فإذا كان ذا توجه ديني ظهر ذلك على أصوله ومبادئه ، والعكس صحيح سواءً بسواء .

ثانيا : إن التدين فطرة مركوزة في خلقة الإنسان ومجبول عليها ، والنزوع إليها في أوقات الكرب والشدة والضيق خير شاهد على ذلك ، فالتحاكم إلى الدين على المذاهب والأديان المختلفة من باب إقامة الشاهد على الإنسان من نفسه ، وهو ألزم في الحجة وأقوم في البرهان والدليل .

ثالثا : إن المذاهب الفلسفية والأحزاب الوضعية المنكرة لوجود الله تعالى ، والداعية إلى الإلحاد ، قد شذت عن المنقول ، وخالفت المعقول ، وندت عن إطار الفطرة الصحيح ، فظهر ذلك جليا على مبادئها وأصولها ، وتحليل ذلك ، وبيان هدمه ، وإظهار عواره ،

---

[1]) الإسلام والمذاهب الاقتصادية ، يوسف كمال ، ص٥ .

وإيضاح عوامل الهدم فيه ، لا يمكن عزله عن الدين بحال ، إذ أن إحكامها إلى مبادئ الدين وقواعده وأصوله وتشريعاته تساعد على بيان العيوب فيها ، وإظهار مساوئها ، وإيضاح ثغراتها ، ولهذا تناول القرآن الكريم الفرق المخالفة له فأظهر عوارها ، وأبان عن عيوبها ، وبيّن نقاط ضعفها ، وأقام الحجة عليها ، وهذا كله واضح بفضل الله تعالى .

لأجل هذا كله كان لزاما تناول الاشتراكية من خلال الدين ، وهل هي ممن يعتد بالدين فيظهر ذلك على مبادئها وأصولها ؟ أما أنها أنكرت التدين جملة وتفصيلا فظهر أيضا ذلك على مبادئها ، لكن بما يعيبها ويكون سهم نقد موجه لها .

المبحث الأول

بيان ما قام عليه المذهب الاشتراكي فيما يخص الجانب العقدي .

لما كان المذهب الاشتراكي مذهبا وضعيا من الدرجة الأولى ، ولما كان مؤسسوه ممن جعل المنفعة الاقتصادية هي المحركة لعجلة التاريخ كما مر بيانه في التعرض لمبادئهم ، كان من الطبيعي أن يقوم هذا المذهب على الإنكار التام لوجود الله تعالى ، والدعوة إلى الإلحاد ، والإيمان التام المطلق بالمادة ، وجعلها أساس كل شيء ، ويتحاكم إليها كل شيء.

وقد اعترف مؤسسو الاشتراكية بذلك جليا واضحا في (بيان الحزب الشيوعي)، الذي أبان عن كثير من أصولهم ومبادئهم ، فهم يرون فيه قائلين :(و الحال أن الشيوعية تلغي الحقائق الثابتة، تلغي الأديان و الأخلاق بدلا من تجديد تشكيلهما، فهي تناقض – إذن – التطورات التاريخية السابقة كّلها "([1]).

وفحوى النص يشير إشارة واضحة ويدل في دلالة قاطعة على الإلغاء التام من الاشتراكية الشيوعية للأديان جميعا ، وقولهم : (بدلا من تجديد تشكيلهما ..) يدل على أن فكرة التدين أو محاولة تجديده حتى ولو فيما يتوافق معهم – هذا في تصورهم بطبيعة الحال – لا يمكن قبوله أو الإقرار به ، أو وضعه حتى في دائرة الفكر والتصور ، وهو ما يدل على أن فكرة التدين وإلغائها قد بلغ مبلغا من الاشتراكية وواضعي مبادئها .

وليت الأمر يقف عند التنظير له فقط في كتب المذهب وينتهي الأمر عند ذلك ، بل راح مؤسسو المذهب إلى دعوة الناس إلى اعتناق ما يعتنقونه ، وإنكار ما ينكرونه ، إذ يرون أنه قد (اصطنع البشر باستمرار – حتى الوقت الحاضر – تصورات خاطئة من أنفسهم ، وعن ماهيتهم ، وعما يجب أن يكونوا ، ولقد نظموا علاقاتهم وفقا لأفكارهم عن الله ، والإنسان العادي ...الخ ، ولقد كبرت منتجات عقولهم هذه حتى هيمنت عليهم، فإذا هم الخالقون ينحنون أمام مخلوقاتهم . ألا فلنحررهم إذن من الأوهام والأفكار والعقائد والكائنات التي يرزحون تحت نيرها ، ألا فلنتمرد على حكم هذه الأفكار)([2]).

---

[1]) بيان الحزب الشيوعي ، كارل ماركس ، فريدريك إنجلز ، ص١٧ .

[2]) الإيديولوجية الألمانية ، كارل ماركس ، ص١٩ .

وهذا النص – على ما هو عليه – يدل على عدة أمور ، منها :

– الادعاء أن العقيدة في حكم التصور ، ولا ريب أن التصور قد يكون صحيحا أو يكون مخطئا ، والاشتراكية هنا تخرج العقيدة من رسوخها وثباتها وما يجب أن تكون عليه من القوة في الاعتقاد إلى التحرر من ذلك كله ووضعه في دائرة التصور فقط .

– الإدعاء أيضا بأن العقيدة (التصور في نظرهم) قد صنعه الإنسان من نفسه ، في إشارة واضحة ودلالة قاطعة بإنكار الوحي الإلهي إلى الأرض على رسل الله تعالى – عليهم الصلاة والسلام – ، فهي ترمي جميع الأديان بالوضعية بناء على هذا القول .

– الدعوة الصريحة والواضحة إلى التحرر من العقائد ، والرمي بها وعدم الاعتراف بها ، في إشارة واضحة إلى الإلحاد التام المنكر لوجود الله تعالى ، أو كل ما يمت إلى الدين بصلة .

وخلاصة رأي الاشتراكية في نظرتها للدين أن(الدين هو منذ البداية وعي الصعود المتسامي ، المولود من ضرورة واقعية)([1]).

ومعنى هذا القول أن الدين من وضع الإنسان ، وبهذا تنفي الاشتراكية عنه (أي الدين) أي اتصال بوحي السماء كما مرّ.

ويبدوا أن محاولاتها قطع صلة الدين بالوحي الإلهي هو سهولة تلاعبها بعقول الناس حينما توحي إليهم أن الدين من وضع الإنسان ، إذ لو أن الناس اعتقدوا ذلك فلا غرابة أن يُترك هذا الدين لأنه – في نظرهم حينئذ – ليس إلهيا وليس معصوما ، فيسهل عليهم حينئذ انقياد الناس لهم .

وقد بلغ القول بالإلحاد مداه في المذهب الاشتراكي حين نجد القول بوجود المادة قبل خلق الخلائق ، وأنها لم ولن تتغير على الإطلاق ، يقول إنجلز (مهما ينشأ أو ينقرض من الخلائق قبل أن تنجم بينهم أحياء تفكر بأدمغتها ، وتجد لها ملاذا يسمح بالحياة ولو إلى فترة وجيزة به ، فإننا مع هذا على يقين أن المادة في كل تغيراتها تظل أبدا واحدة وأبدا كما هي ، وأنها لن تفقد صفة من صفاتها)([2]).

---

[1]) الأيدولوجية الألمانية ، نفسه ، ص٦٥٨.

[2]) الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة ، يوسف كمال ، ص٦٨ .

ولا ريب في أن هذا القول فيه الإشارة الواضحة إلى القول بأزلية المادة ، والتي جرّت إلى القول بأزلية الكون ، إذ أن الذي لا يتغير أزلي قديم غير محدث ، وهو الله تعالى، لكنهم نفوها عن الله تعالى وألبسوها المادة ، تلك المسألة التي تمسك بها القائلون بالإلحاد والمنكرون لوجود الله تعالى .

وكل نظرة في أدبيات الاشتراكية العلمية ، وكل تفحُصٍ في مبادئها وأصولها وما قامت عليه ، سيجد واضحا الديدنة بتلك المادة والقول بها مرارا ، ومحاولة ربط كل شيء بها ، فهي (من خلال نظرتها إلى الحياة ، وأنها مستقلة عن خالقها ، ولا خالق لها ، وأن المادة وهبت نفسها روح الحياة ، وبدأت الخلية الحية من تلقاء نفسها ، وهي التي خلقت عوامل بقائها وتطورها)([1]) ، أصبحت الاشتراكية العلمية ، أو الشيوعية العلمية كما في إحدى مسمياتها مادية جدلية صرفة.

وإيمانا من الاشتراكية بتلك المادة ، واعتقادا تاما فيها ، ودفاعا مستميتا عنها (ندرك أن الماركسية فرع لشجرة المادية التي غُرست في أوربا لخنق شجرة الكنيسة ، ثم اقتلاعها ، أو أحد المسامير الكبيرة التي دقت في نعش الكنيسة)([2]).

ونزولا على القول بالإلحاد ، والدعوة المطلقة إليه ، وإمعانا من دعاة الاشتراكية بمحاربة كل ما هو ديني وغيبي ، فقد قال ماركس وإنجلز بـ (المادية الجدلية) ، تلك التي قامت في الأصل على إنكار وجود الله تعالى ، وجعل المادة قائمة بنفسها وكل شيء يستند إليها ، ثم بهذه المادية الجدلية المبتدعة أضاف (ماركس وإنجلز) جديدا على المادية التقليدية وبينهما فارق واضح ، (فالمادية مذهب يجعل الأولية على الوجود للطبيعة المادية . فالمادة لا يتوقف وجودها على وجود شيء سواها ، على حين أن كل ما هو عقلي يمكن رده إليها ، فإذا كان ذلك هو طابع المذهب المادي على إطلاقه ، فقد جاءت المادية الجدلية لتتميز بإضافة تنفرد بها دون المذاهب المادية التقليدية على اختلاف صورها، وتلك الإضافة التي تميزها هي أن الطبيعة تتطور وتنمو بحيث تنتقل من الأبسط

---

[1]) إساءة الحضارة الرأسمالية والشيوعية إلى الله ، أ.د/ علي غازي عناية ، ص١٣ . بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

[2]) السرطان الأحمر ، د/ عبد الله عزام ، ص١٥ . عمان ، مكتبة الأقصى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م . الطبعة الأولى .



إلى الأعقد ، وقد استمد ماركس وإنجلز فكرة الجدل من هيجل ([1]) ، غير أن هيجل جعل الحركة الجدلية في الأفكار ، فالفكرة يتولد عنها نقيضها ثم يتولد تركيب يؤلف النقيضين معاً .....أما ماركس وإنجلز فنقلا هذه الحركة من عالم الفكر إلى عالم الواقع ، بحيث نرى الأوضاع الواقعية المادية نفسها تنتقل من الحالة المعينة إلى نقيضها ، ثم يتألف وضع جديد يجتمع فيه النقيضان ، وهلم جرا)([2]).

ومن خلال هذه المفارقة بين المادية التقليدية والمادية الجدلية ، يتضح أمور :

الأول : مدى رسوخ فكرة المادية في نفوس دعاة الاشتراكية ، بخاصة ماركس وإنجلز ، رسوخا بلغ إلى عدم الاكتفاء بما هو قائم ومشهور آنذاك من تلك المادية التقليدية ، حتى أضافا عليها نوعا جديدا ، إمعانا في الرسوخ ، وزيادة في التمسك.

الثاني : مدى تأثر ماركس وإنجلز بدعاة المادية الذين سبقوهم ، وهذا التأثر بدا جليا واضحا في الأفكار والأصول والمبادئ التي قامت عليها الاشتراكية ، وظل ملازما لمؤسس المذهب وبدا ظاهرا في كتب ومؤلفاته حتى رحيله .

الثالث : الواضح أن ماركس وإنجلز حاولا نقل فكرة المادية من هيجل من عالم الأفكار إلى عالم الواقع ، ليطبقا ذلك على مبادئهما وأصولهما التي دعا إليها ؛ لأن الوقوف فقط عند فكرة هيجل (عالم الأفكار) لن تسعفهما بالقول بالتطور وصراع الطبقات وانهيار الرأسمالية وقيام الشيوعية الاشتراكية على انقاضها .

ومن هذه المفارقة بين الفلسفتين (يمكن تلخيص هذين الجانبين اللذين يبرزان بوضوح وحدة بعض الفوارق المهمة بين مفهومي هيغل وماركس للمنهج الجدلي كما يلي :

الجانب الأول : يتعلق بقضية من أين ننطلق ؟.

---

[1]) هيجل، ج. و. ف. (١٧٧٠ – ١٨٣١م). فيلسوف ألماني يعتبر أحد أكثر الفلاسفة الألمان تأثيرًا في المذاهب الفلسفية الحديثة. جادل هيجل في المقولة التي تفيد بأنه لكي نفهم أي ثقافة من الثقافات الإنسانية، يجب أن نعيد تتبع وفهم تاريخها. كانت فلسفته مثالية= = مطلقة . وقد ركز هيجل كثيرًا على أهمية الفهم التاريخي لتطوير الدراسة التاريخية للفلسفة، والفن، والدين، والعلم، والسياسة. وانتشر المنهج التاريخي للثقافة الإنسانية الذي أشاعه هيجل حتى خارج حدود ألمانيا.الموسوعة العربية الميسرة، ج٧ ، ص٣٥٤٨ .

[2]) نفس المرجع ، ج٦ ، ص٢٩٥٨ .

والجانب الثاني : هو ما إذا كانت المتناقضات ضمن أية وحدة متطابقة بشكل مباشر وبالضرورة ، أم بشكل مباشر وفي شروط محددة)([1]).

وبين الجانب الأول والثاني –كما في النص – يدرك القارئ بعض فوارق بسيطة، لكنها تتفق في النهاية على مادية بحتة ، كلها تصبغها على الكون ، وتنفي الأولية عن الله سبحانه وتعالى .

لكن ، لماذا قامت الاشتراكية على هذا الإلحاد ؟ ولماذا دعت إلى التمسك به والتحرر من التدين؟ في نظري إن ذلك راجع إلى عدة أمور ، وهي :

أولا : إن الدين له أثره الواضح على الإنسان ، في توجهه وسلوكه ومبادئه كما سبق القول بذلك ، والمتمسك بدينه السماوي الصحيح غير المحرف ، حتى أو المحرف لكن فيه بقايا من الصحيح ، يأبى أن ينقاد لتلك المبادئ الوضعية التي تتنافى مع الدين ، فكان لابد من إزالة الدين أولا – في تصور دعاة الاشتراكية – حتى يسهل عليهم الانقياد لهم .

ثانيا : إن مبادئ الاشتراكية وأصولها تتعارض تماما مع مبادئ الدين وقواعده ، وتتعارض أيضا مع الفطرة السليمة الصحيحة ، فمسألة كمسألة إلغاء الملكية الفردية –كما سيأتي بإذن الله تعالى بيانه – تنافي الدين من جانب ، وتنافي الفطرة التي جبلت على حب التملك من جانب آخر ، فكان لابد من التحرر من الدين أولا حتى يسهل تطبيق تلك المبادئ الاشتراكية .

ثالثا : إن الاشتراكية قائمة في الحقيقة على الذل والاستعباد والهوان والخنوع للغير (قادة الاشتراكية) ، والدين الصحيح يأبي كل هذا ، فهو يأبي إلا أن يكون الإنسان حرا ، قويا في الحق ، عزيزا وليس ذليلا إلا لله تعالى ، فلا تتوافق الأخلاق الاشتراكية المرذولة مع أخلاق الدين القويم بحال ، فحاول أصحاب المذهب التحرر من هذا الدين الذي يجعل الناس تتأبى عليهم .

---

[1]) مقدمة كتاب : أسس نقد الاقتصاد السياسي في النقود لكارل ماركس ، مارتن نيكولوس ، ترجمة : عصام الخفاجي ، ص٤٤ ، بيروت ، دار ابن خلدون ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م . الطبعة الأولى .

رابعا : إن الاشتراكية ما قامت في الأصل إلا لمحاربة الرأسمالية ، وهي في سبيل هذا ادَّعت أن الاقتصاد هو المحرك لعجلة التاريخ ، والاقتصاد ووسائل الإنتاج والعمل كلها أشياء مادية ، والتأكيد عليه يؤيد ما ذهبوا إليه ، فتمسكوا بالمادية وقالوا بها .

خامسا : إن الناس في أوربا كانت قد بدأت التمرد على الدين ، فظهرت العلمانية جراء ذلك ، ومن أجل هذا نبذت الكنيسة لمحاربتها العلم ومحاولة تقييده ، وقد علم ماركس ذلك وفطن إليه ، وعلم أن تمسكه بالدين أو الدعوة إليه سيفقده أتباعا ويجعلهم قلة ، فنبذ الدين وتركه ودعا إلى إلحاده : مجاراة لما هو شائع حينها ، ومحاولة لتكثير أتباعه من ناحية أخرى .

المبحث الثاني

جهود الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى –

في نقد الاشتراكية العلمية فيما يخص الجانب العقدي.

تأتي جهود الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – في مجابهة الإلحاد والقول بالمادة ، في محاربة منه لمبادئ الاشتراكية العلمية ، كحلقة وصل متكاملة من تلك الجهود التي جابه بها أهل السنة والجماعة تلك المذاهب الوضعية المنحرفة ، قياما بحق الدعوة إلى الله تعالى وحده ، ودفاعا عن مبادئ الدين القويم أمام موجة الإلحاد التي استشرت آنذاك ، وحفاظا على عقول المسلمين من تلك الموجة الطاغية .

لقد مثَّلت تلك الجهود من قِبَل الشيخ – رحمه الله تعالى – جوانب مضيئة في مجابهة المذاهب الفلسفية الوضعية الإلحادية ، فتناولها الشيخ بالتحليل والبيان ، وأبان ضعفها بالدليل والبرهان ، وأظهر عوارها بما يبطل حجتها الواهية ، وبما يقرر مبادئ وأصول الدين القويم .

وقد سلك الشيخ – رحمه الله تعالى – في مواجهة الإلحاد المادي – والتي تتمسك به الاشتراكية – عدة مسالك مهمة ، مَنْ عقلها وتمعّن في محتواها سيجد أن صرح المادية الإلحادية منهار تماما ؛ إذ الباطل لا يقوى أمام سطوة الحق وقوته .

فهو يبدأ أولا بتوجيه دعوة إلى الآباء حفاظا على أبنائهم من تلك الموجة الإلحادية قائلا: (تعال معي لنقرأ في وسائل التوجيه لأبنائنا وقومنا هذه الدعوة الإلحادية السافرة ، التي تنادي جهرا ونهارا في أنهار المجلات والصحف وفي بلد مضى تاريخه ، وبنى دستور نهضته على أساس من الإيمان بالله خالق الأرض والسموات : تنادي جهارا ونهارا أنه لا خالق لهذا الكون ! وأنه لا حقيقة للشيء الذي اخترعه الوهم ، وخوَّف به اناس بعضهم بعضا ، وسموه (الله) ، وموقف الناس منه وتأثرهم به إلا كموقف (الكلب المتدين) حينما أزعجته ورقلة معلقة في الهواء واعتقد أن بها حياة ، وأن بها قدرة على إساءته ، فارتا ع لها وخافها ، وفرَّ هاربا من أمامها)([1]).

---

[1]) الوصايا العشر ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٢٥ . مصر ، دار الشروق ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م . الطبعة الخامسة .

وحينما ينادي الشيخ أولا بتوجيه الدعوة للحفاظ على الأبناء فهي محاولة جليلة منه لتربية النشء والحفاظ عليه من تلك الموجة السافرة ، إذ لو تُرك الأبناء لهذه الموجات لا ريب سينشأ جيل لا يعرف عن دينه شيئا ، فكانت حكمة من الشيخ – رحمه الله تعالى – بالحفاظ على النبتة أولا حتى يكبر الزرع ولا يعكر صفوه شيء .

ويتناول الشيخ – رحمه الله تعالى – الشيوعية بالبيان والتحليل ، والشيوعية إحدى مسميات الاشتراكية العلمية ، ويحكم عليها حكما لا هوادة فيه ، يُعد نسفا حقيقا لها ولكل ما قامت عليه ، فهو يرى أن (واقعها كما يُنقل عن مخترعيها ، ويقرأ في كتبها أنها لا تؤمن إلا بالمادة ، وأنها تنكر الألوهية والوحي والبعث ، وأنها تقتحم في سبيل ماديتها كل ما قدسه القرآن وقدسته الشرائع السماوية من حرمات العقيدة والعبادة ، والمال والعمل ، والروابط الجنسية الشرعية ، وما إلى ذلك من أسس الإسلام ، فإنها بلا شك تكون عدوة للإسلام ، وعدوة لسائر الأديان السماوية ، ويكون الإسلام وسائر الأديان السماوية عدوا لها عداوة لا هوادة)([1]).

ومن هذه الفتوى وهذا الحكم من الشيخ الإمام على الشيوعية الاشتراكية يُلاحَظ أمور :

أولا : أن الشيخ قد تناولها فيما يخص جانبها العقدي ، إذ هو أهم الأمور وما بعده يأتي تباعا ، وهذه تمثل حكمة أخرى من الشيخ – رحمه الله تعالى – .

ثانيا : جعل الشيخُ الشيوعيةَ في مقابلة حقيقة لكل الأديان السماوية ، وانطلق من الحكم عليها من خلال تلك العلاقة المتضادة بين الجانبين ، ولا ريب في أن اجتماع الضدين محال ، فإما الإسلام وإما غيره (الشيوعية) ، والمسلم الحق يأبى إلا الإسلام الحق الذي قامت الأدلة على صحته وقوته ، وفي هذا إشارة ضمنية للحفاظ على المسلم من براثين هذا المذهب كما هو واضح .

ثالثا: وصدور فتوى كهذه من الإمام الراحل ، وهو يمثل أكبر منصب ديني آنذاك للمسلمين ولأهل السنة والجماعة ، يعد حجر عثرة أمام الشيوعية أن تأخذ طريقها في

---

[1]) الفتاوى – دراسة في مشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية العامة ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٣٤٦ . مصر ، دار الشروق ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م . الطبعة الثامنة عشر .



ديار الإسلام ، فكان جهدا واضحا من الإمام – رحمه الله تعالى – أمام موجة عاتية أرادت أن تجتاح بلاد المسلمين .

ثم يبيّن مسلك المادية الذي تمسك به البعض ، ومنهم دعاة الاشتراكية وأتباعها قائلا :(للناس في هذه الحياة مسلكان : مسلك المادية البحت ، الذي يعني فقط بشئون الحياة الظاهرة ، من مال وسلطان ، و جاه ونفوذ ، غير مكترث بوسائل هذه الأهداف ، ولا بمواضع إنفاقها والانتفاع بها .

ومسلك الروحية البحت ، الذي يعنى فقط بالروح ، وبشئون الروح : اعتكاف وتبتل ، وصوم ورياضة ، ينقطع بها الناس عن الحياة المادية كلها .

مسلكان ، وفي كل منهما وقوف بالإنسانية دون الغاية التي هيئت لها بمقتضى الخلق والتكوين ، وبمقتضى ما سخر لها من عناصر الكون المادية ، وبمقتضى ما اختبرت له من أن تكون مظهرا لجلال الله وجماله ، فليس في المادية البحت –كما رأينا ونرى في العالم – سوى الطغيان والظلم ، والاستعباد والذل ، والتحكم الغاشم بالأرواح والأموال والأعراض)([1]).

فقوله – رحمه الله تعالى – : (فليس في المادية البحت –كما رأينا ونرى في العالم – سوى الطغيان والظلم ...) إشارة واضحة إلى مسلك الاشتراكية الشيوعية آنذاك، إذ لم يكن يكتنف العالم سوى الإسلام و الرأسمالية والاشتراكية الداعية إلى تلك المادية البحتة .

ولا ريب في أن الإمام الراحل حينما يتناول المادية من خلال آثارها فهو بهذا يحاربها بنتائجها التي تمخضت عنها ، وهو بهذا يسلك مسلك التحذير منها ، مما يعد جهدا واضحا من الإمام الشيخ الراحل – رحمة الله تعالى عليه – .

وفي سبيل محاربة تلك المادية استخدم الشيخ – رحمه الله تعالى – بعض الأدلة على وجود الله تعالى ، إذ في تقرير ذلك وتأكيده محاربة واضحة لهذا الإلحاد وتلك المادية، إذ يرى أنه (في سبيل الشعور الباطني والوجدان النفسي ، يرشدنا القرآن ويسترعي

---

[1]) من توجيهات الإسلام ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٨١ . مصر ، دار الشروق ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م . الطبعة الثامنة .

أنظارنا إلى حقيقة نفسية واقعية ، تعبر عن قبس الإيمان بوجود الخالق ووحدانيته ، وعن فطرية الشعور الديني في نفس الإنسان ، وتتمثل في ذلك الإحساس الداخلي الذي يحسه الإنسان من نفسه ، حينما يتحرر من سلطان الوهم والهوى ، ويتفلت من حكم المادة المظلمة ، أو عندما يُفَاجَأ بالسؤال عن مصدر هذا الكون ، أو عندما تنزل به شدة تحيط به ، ولا يرى فيما يقع حسه طريقا للخلاص منها)([1]).

فهذا الإحساس الذي يرشد إليه الإمام دليل الفطرة الذي استخدمه القرآن الكريم في أكثر من آية ، وأقام به الحجة على المعاند من جانب ، وقرر وجود الله تعالى ووحدانيته من جانب آخر ، وفي هذا آيات كثيرة من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾([2]).

وقوله جَلَّتْ حكمته : وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾([3]).

وكثيرة هي الآيات الماثلة في كتاب الله تعالى التي اتخذت من الفطرة وإحساس الإنسان بها ، دليلا أقامت به الحجة على المخالف ، وأقرت به أصول الدين ومبادئه العقدية .

وفيما يبدوا فإن الشيخ قد استخدم دليل الفطرة بالذات لأن الرجوع إليه يعني التفلت الحقيقي من براثين المادة المظلمة ، إذ أن الفطرة تعني روحا وإشراقا ونورا من داخل الإنسان ، فإذا ما أشرق في نفس العبد اضمحلت أمامه ظلمات المادية الخارجة عنه ، فتقابلا .

---

[1]) الإسلام عقيدة وشريعة ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٢٣ . مصر ، دار الشروق ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م . الطعة الثامنة عشر .

[2]) سورة العنكبوت ، الآية (٦٥) .

[3]) سورة لقمان ، الآية (٣٢) .

ولمّا كانت تلك الفطرة تمثل جانب الروح في الإنسان ، فقد استخدم الشيخ – رحمه الله تعالى – تقوية هذا الجانب سبيلا إلى محاربة المادية الإلحادية الجارفة ، فهو يقرر أن الإسلام قد عني (بتهذيب الروح وطالب به، ولفت الأنظار إليه في مبدأ دعوته. حتى إذا ما تم على الوجه الذي يحفظ للإنسان قلبه وروحه، ويربطه بخالقه والمنعم عليه، انتقل به إلى المرحلة الأخرى، مرحلة التنظيم المادي، الذي يكون التهذيب الروحي من أهم عوامل تركيزه وإقراره في الحياة، والذي يكون أثرًا للضمير الحي المهذب الذي يقدر الخير للخير، والحق للحق، غير مدفوع برغبة أو رهبة فيما وراء الحق والخير)([1]).

وبهذا ينطلق الشيخ في محاربته للمادية الجارفة من منطلق الوسطية بين الروح والمادة ، حتى لا يكون هنالك طغيان لجانب على آخر ، وفي تقرير هذه الوسطية تتلاشي آثار تطرف الطغيان المادي الذي تتمسك به الاشتراكية الشيوعية في جانبها المادي المظلم.

ولما للوسطية من أثر محمود في تراجع الإنسان عن طرفي القصد المذموم في كل شيء ، ومن أهمها أمور الاعتقاد ، فقد أكثر الإمام الراحل من التحدث عنها واتخذها سبيلا لتقرير الوسط في أمور الاعتقاد والتشريع ، إذ يوجه الإنسان إلى أن (ينظر إلى مبدأ واحد هو المحور الذي تدور عليه سائر الأحكام مهما تعددت وتنوعت، وبيان ذلك: أن من يتأمل حالة العالم في عصوره المتعاقبة وأطواره المتتابعة يعرف حق المعرفة أنه كان يتردد بين طرفين من إفراط وتفريط، وكان ذلك شأنه في كل شيء: في العقائد ، في الأخلاق، في صلة الإنسان بالحياة، في علاقة الفرد بالمجتمع، في علاقة الأمم بعضها ببعض، في طريقة التشريع، إلى غير ذلك من سائر الشئون، وقد جاء الإسلام فأدرك أن العالم لا يصلح بواحدة من هاتين الخطتين، وأنهما منافيتان للفطرة الإنسانية والطبيعية البشرية، منافيتان لسنن الاجتماع التي تقضي بالوقوف عند الحد الوسط في كل شيء ، لضمان البقاء والصلاح، وعدم التعرض للانحلال والفساد. أدرك الإسلام ذلك فجاءت شريعته وسطا لا إفراط فيها ولا تفريط، ووقعت أحكامها ومبادئها مهما تنوعت وتشعبت في هذه الدائرة

---

[1]) منهج القرآن في بناء المجتمع ، الشيخ محمود شلتوت ، ص١٣ . مصر ، مطابع دار الكتاب العربي ، الرسالة الخامسة ، بدون تاريخ ولا رقم طبع .

التي رسمها كتاب الله عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ....﴾ ([1]) وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ ([2])([3]).

وبهذه الوسطية التي ناشدها الشيخ في المسلمين ، يكون بذلك قد جانب الاشتراكية المغالية في المادية من جانب ، وأبان عوارها من حيث التطرف والغلو من جانب آخر ، بما يقرر جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – في هذا المضمار .

ولما كانت موجة الإلحاد في زمان الإمام الراحل عاتية ، ولما كانت آثارها منتشرة، ونتائجها ظاهرة ، لم يكتف الشيخ ببيان خطورة هذه الموجة عن طريق وسيلة بعينها دون غيرها ، بل إنه – رحمه الله – قد سلك أكثر من وسيلة ، ففي سؤال وجه إلى فضيلة الشيخ – رحمه الله تعالى – في أفضل وسيلة يمكن بها محاربة موجة الإلحاد التي تجتاح العالم، قال : (هذا سؤال جدير أن تشرئب إلى الإجابة إليه الأعناق ، وجدير بأن يجتمع في سبيل الإجابة العملية عنه رجال التربية ورجال التعليم و رجال الحكم .

ولا أريد أن يغرس رجال الحكم الإيمانَ في القلوب بالقوانين ، وإنما أريد أن يكونوا قدوة عملية يقتدى الناس بهم ، وبأمرهم في الإيمان وآثاره ومظاهره ، وأن يسدوا النوافذ التي تفد منها إلى الشباب دواعي الإلحاد ، فالعقيدة أسمى ما يملكه الإنسان في حياته ، والشباب المثمر في وطنه المكافح هو من قوي إيمانه ، ومن هنا نرى أن بيئات التعليم ملزمة بغرس ثمرة الإيمان بغرس شجرة الإيمان في قلوب التلاميذ من مبدأ نشأتهم حتى تنمو بنموهم وتزدهر وتثمر .

ولا أريد الإيمان التلقيني وإنما أريد الإيمان النابع من القلب ؛ بلفت الأنظار إلى سنن الله في الكون ومظاهر قدرته وأفاعيله في خلقه)([4]).

---

[1]) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٤٣) .،

[2]) سورة الأنعام ، الآية (١٥٣).

[3]) سر الخلود في الشريعة الإسلامية ، الإمام الشيخ محمود شلتوت ، مجلة الرسالة ، العدد (٦٠١) ، ص١٠ ، ١١ .

[4]) مجلة الأزهر ، العدد (٩) ، السنة (٣٠) ، رمضان ١٣٨٧ هـ – مارس ١٩٥٩م .ص٧٨٥ .

والإمام الراحل في هذه المرة يتخذ من الأدلة الكونية سبيلا لدحض الإلحاد المنتشر ، ويجعل من أساليب التعليم والتربية سبيلا إلى هذا ، حتى يمكن نبع الإيمان الحقيقي في القلب دونما أي ضغط أو حفظ أو تلقين فقط ، وهو في هذه المرة أيضا يدعو إلى سد منافذ وأبواب هذا الإلحاد السافر ، بما يضيف في رصيد الشيخ – رحمه الله تعالى – في جانب جهوده نحو هذا الإلحاد .

هذا ، ومن خلال جهود الشيخ السابقة في مجابهة الإلحاد والمادية الجارفة ، يُلاحَظ ما يلي :

أ– لا ريب في أن كل الجهود السابقة ما دامت تدور في فلك العقيدة ، وتقرير مبادئها ، ومحاربة ضدها ، فهو ينسحب بطبيعة الحال على الاشتراكية العلمية أيضا ، فجهود الشيخ إما أن تأتي صريحة في هذا المضمار ، كما في الفتوى السابقة والحكم على الشيوعية ، وإما أن تأتي ضمنا كما في بقية النصوص ، لكن المادية التي يحاربها الشيخ هي نفس ما تدعو إليه الاشتراكية العلمية ، فتكون محاربة الشيخ للمادية والإلحاد هو في الوقت ذاته محاربة لما تدعو إليه الاشتراكية ، لاتحاد الهدف والمقصد ، ولا يمكن ادعاء الفصل بين الأمرين بحال .

ب– يلاحَظ أيضا سلوك الشيخ أكثر من مسلك في مجابهة الإلحادية المادية التي تتمسك بها الاشتراكية العلمية ، مما يعني اهتمام الشيخ – رحمه الله تعالى – بالأمر من جانب ، ومدى تأثيره على المجتمع من جانب آخر .

ج– أخذ الشيخ على عاتقه بيان ما للاشتراكية المادية من آثار بغيضة ، ونتائج غير قويمة ، تترك آثارها على الفرد والمجتمع على السواء ، فاتخذ من تلك الآثار سبيلا إلى المحاربة والهدم لهذا المذهب ، ولا ريب في أن هذا مسلك قوي في التحذير ، وسلوك قوي في الترهيب .

د– حينما يُشركُ الشيخُ – رحمه الله تعالى – الآباءَ معه في المسئولية ، فضلا عن رجال التربية والتعليم والحكم كما مر بيانه ، فهو بهذا لا يبالي بأي سبيل يأخذ طريقه إلى قلوب المسلمين مادام نافعا ، ولا يحتكر ذلك لنفسه فقط ، مما يدل على مدى شعور الإمام بمسئوليته ومدى إحساسه بها .

هـ– لا ريب في أن اتخاذ أكثر من وسيلة للوصول إلى الهدف وتحقيق المقصد يكون أرجى تحقيقا ، وأكثر وقوعا ، وأقرب للمقصود ، فيما لو كانت وسيلة واحدة ، والشيخ حينما يتخذ أكثر من وسيلة في محاربة الإلحادية المادية الاشتراكية – كما في الكتب والصحف وغيرها – فإن تحقيق ما يصبو إليه من محاربة هذا المذهب أقرب لتحقيق النوال ووقوع المطلوب ، بما يقرر أيضا جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – أيضا .

و– لم يُلق الشيخ – رحمه الله تعالى – الكلام – في محاربة الإلحاد الذي تقول به الاشتراكية – على عواهنه ، أو مرسلا بلا دلائل تبيّن حقيقته ، بل أقام أكثر من دليل ، ونوَّع به تصاريف الاستدلال ، وأقام وجوه الحجج على المخالف من خلاله ، وهذا يعني قوة الجهد ، وتنوع الحجة ، وشدة التفنيد للمطلوب ، بما يقرر جهود الشيخ أكثر ، وتحجيمه لهذا المذهب أوضح .

الفصل الثاني

نقد الاشتراكية العلمية في فكر الشيخ محمود شلتوت

فيما يخص الجانب التشريعي.

توطئة :

لا مرية في أن الاشتراكية حتى تأخذ طريقها إلى الناس ، وحتى تخالف الرأسمالية فيما ذهبت إليه ، شرَّعت لنفسها عدة مبادئ وقوانين تمثل بالنسبة لها تشريعات تسير عليها ، وتلزم أتباعها الأخذ بها ، وتَتبُّعُ تلك التشريعات واستقصائها في المنظور الاشتراكي أمر يطول بحثه ويصعب استقراءه في تلك الصفحات البسيطة ، وعلى هذا ستكون مسألة (إلغاء الملكية الفردية والخاصة) كنموذج على تلك التشريعات التي أخذت بها الاشتراكية ودعت إليها ، ثم يكون تناول الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – لنفس المسألة من منظوره الشخصي كنموذج أيضا على تلك الجهود التي قام بها الشيخ في مجابهة هذا المذهب ، ومن خلال ضرب هذا النموذج كمثال تطبيقي على الدراسة ستتضح نظرة كلٍ من الطرفين ، بما يبين حقيقة الاشتراكية في تلك المسألة ، ويبرز جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – في نفس المسألة ، وذلك على النحو التالي إن شاء الله تعالى ...



المبحث الأول

بيان ما قام عليه المذهب الاشتراكي فيما يخص الجانب التشريعي (مسألة الملكية نموذجا) :

من الأمور والمسائل المسّلَم بها في المنظور الاشتراكي ، حتى أصبحت علما عليها وشارة خاصة بها ، لا يشاركها فيه غيرها ، مسألة (إلغاء الملكية الخاصة أو الفردية) ؛ إذ أن المتتبع لأدبيات المذهب وما كُتِبَ فيه من مبادئ وأصول وتشريعات يجد تلك المسألة طافحة بها ، حتى أصبحت من البديهيات المتبادرة إلى الذهن عند إطلاق لفظة (الاشتراكية) ، حتى أصبحت التعريفات التي تريد تناول تلك اللفظة بالتعريف والبحث ، تجعل هذه المسألة حدا في التعريف كما مرَّ بيانه .

وقد سبق القول بأن الاشتراكية تحارب أي شيء تبرز فيه صورة فردية لأي شخص بعيدا عن الجماعة العامة ، وتؤكد هذا مرارا ، فهم يتحدثون عن الشيوعية قائلين أنه (كان تنظيمها اقتصاديا بصورة جوهرية ، ألا وهو الانتاج المادي لشروط هذه الوحدة ، إنها تحول الشروط القائمة إلى شروط الوحدة . وإن الأوضاع التي تخلقها الشيوعية هي على وجه الدقة الأساس الحقيقي الذي يجعل من المحال وجود أي شيء كان بصورة مستقلة عن الأفراد)([1]).

فشروط الوحدة كما هو في بارز في النص ، فضلا عن (الأوضاع التي تخلقها الشيوعية هي على وجه الدقة الأساس الحقيقي الذي يجعل من المحال وجود أي شيء كان بصورة مستقلة عن الأفراد) ، كما يشر النص في دلالاته القاطعة أيضا ، يؤكد في مضامين قوية محاولة انتفاء الفردية – في كل ما يتعلق بها – في المنظور الاشتراكية ، كخطوة من جانبها حتى تكون الأمور كلها جماعية خاصة في يد الدولة أو الجماعة .

وإذا كان النص يحتمل (مسألة الملكية وغيرها) كدخول أولي في مسألة التعميم التي تنشدها الاشتراكية ، فإن هنالك نصوصا قاطعة بالتنصيص على الملكية لفظا ومعنى ، ومن ذلك أنه (لابد أن تجعل كتلة من أدوات الإنتاج خاضعة لكل فرد ، وأن تجعل

---

[1]) الإيديولوجية الألمانية ، كارل ماركس ، ص٧٨ .

الملكية خاضعة للجميع . إن التعامل العمومي الحديث لا يمكن بالتالي أن يخضع للأفراد إلا في حال خضوعه للجميع)([١]).

ولا يعني جعلهم كتلة من أدوات الإنتاج خاضعة لكل فرد : الملكية الفردية التي أعطاها الإسلام لأتباعه ، وجاءت الاشتراكية لتحارب الرأسمالية في صورها ، بل إن كتلَ الإنتاج هذه وسيلة إلى الملكية العامة التي ترنو إلى تملكها الدولة في المنظور الاشتراكي ، بدلالة ما بعده في النص من قولهم : (وأن تجعل الملكية خاضعة للجميع) ، فالأولى سُلمٌ إلى الملكية العامة التي تضع الاشتراكية نظرها عليها .

وكون هذه وسيلة إلى الملكية العامة التي ألغت تملكها الاشتراكية بالنسبة للأفراد، نصت عليه بعض أدبيات المذهب قائلة أنه (في سبيل تمكين الفرد الإنساني من تطوير جميع قدراته الخلاقة ، لابد من إلغاء العمل ، وبالتالي إلغاء تقسيم العمل والملكية الفردية، وهذا أمر لا يمكن أن يتحقق إلا بفضل نشاط الأفراد العملي ، لا بفضل تصوراتهم وأفكارهم)([٢]).

ويأتي (بيان الحزب الشيوعي) ويلخص هذا الأمر في كلمة واحدة ، لتنهي أي جدل أو مواربة في هذه القضية ، حينما يؤكدون على ذلك قائلين : (و الحالة هذه يستطيع الشيوعيون أن يلخصوا نظريتهم بعبارة وحيدة: إلغاء الملكية الخاصة([٣]).

غير أن المرء قد يتساءل : لماذا يقدم الاشتراكيون على مثل هذا الأمر ، وهو من صميم نزوع الفطرة وحب التملك ؟ ، وقد أشارت بعض كتب المذهب إلى ذلك ، وبعضها يستطيع الباحث استخلاصه من وجهة نظره القاصرة

فمن الدوافع التي جاءت نصا في القضية أن الاشتراكيين حينما يعملون على انتفاء الملكية الخاصة ، فإن هذا سيجر بطبيعة الحال إلى انتفائها من يد الجميع ، أتباعا ومتبوعين ، فحينما تبدأ (ساعة زوال الملكية الفردية ، سيصبح نازعو الملكية بدورهم منزوعي الملكية ([٤]).

---

[١]) نفس المرجع ، ص٨٤ .

[٢]) الأيدولوجية الألمانية ، ص١١ .

[٣]) بيان الحزب الشيوعي ، كارل ماركس ، فريدريك إنجلز ، ص١٢ .

[٤]) كارل ماركس أو فكر العالم ، جاك أتالي ، ترجمة : مُحَمَّد صبح ، ص٢٨١ .



ولا شك أن هذا حينما يحدث فإنه سيوفر على الاشتراكيين الجهد والوقت ، إذ أن الكل سيصبح بلا ملكية تلقائيا دون تدخل من الاشتراكين بطريق مباشر .

وأمرٌ آخر أظهرته الاشتراكية وبيَّنت أنه سبب للدعوة إلى هذا الإلغاء ، فهي ترى أن (الملكية في شكلها الحالي، تتحرك في التناقض بين رأس المال و العمل المأجور. فلنمعن النظر في طرفي هذا التناقض)([1]).

وفحوى دعوتهم من خلال هذا أن رأس المال الذي يتملكه الرأسمالي ، ثم العمل الذي يقوم به العميل المأجور أو طبقة البروليتاريا كما يسمونها لا يوجد بينهما عدل ، حيث ترى الاشتراكية أن الرأسمالي يأخذ فوق حقه (رأس المال زيادة على الوقت – القيمة المضافة) ، حيث يعمل الأجير أكثر من الوقت المطلوب ، وعن طريق إلغاء الملكية من الأفراد لا يوجد من يتحكم في الأجير كما يتحكم فيه الرأسمالي ، فجرَّهم ذلك إلى القول بإلغاء تلك الملكية في تصورهم .

ويؤكد هذا ما يرونه من أنه (يتلقى العامل وسائل معيشة مقابل قوة عمله، و لكن الرأسمالي يحصل مقابل ما قدمه من وسائل المعيشة، على العمل، على نشاط العامل المنتج، على القوة الخلاّقة التي بواسطتها لا يرد العامل ما استهلكه وحسب، بل يعطي أيضا العمل المكدس قيمة أكبر من قيمته السابقة)([2]).

هذا بعض ما نصت عليه الاشتراكية من دوافع القول بإلغاء الملكية الخاصة في نظرهم ، لكن قد يكون هناك بعض أسباب ودوافع أخرى ، ومن ذلك فيما يرى الباحث:

الأول : أن القول بهذا الإلغاء مطابق للدعوة إلى شيوع كل شيء ، وبالتالي تدخل الملكية في هذا العموم .

الثاني : أن هذا مما تمسكت به الرأسمالية وقامت عليه ، والاشتراكية قد جاءت ناقمة على الرأسمالية في كل شيء ، ومن هذا الملكية التي تمسكت بها ، فعملت على إزالتها حتى تكون أحدى الطرق لإزالة القائلين بها .

---

[1]) بيان الحزب الشيوعي ، ص١٣ .

[2]) العمل المأجور ورأس المال ، كارل ماركس ، ترجمة : إلياس شاهين ، ص٤٦ ،

الثالث: حينما تنتفي الملكية الخاصة من الأفراد ، وحينما تتملكها الدولة أو الجماعة ، فليس لهؤلاء الأفراد الحق في المطالبة بأي شيء ؛ وما عليهم إلا السمع والطاعة لهذه الدولة وفقط .

الرابع : من المؤكد أن جميع رعايا الدولة ليسوا جميعا على درجة واحدة من الغنى والفقر ، بل ربما يكون الفقراء أكثر عددا من غيرهم آنذاك ، وحينما تلغى الملكية الخاصة من الجميع ، يكون الجميع حينئذ سواء أمام الدولة في هذا الوقت ، فيعمل هذا على كثرة أتباع الاشتراكية حينئذ ؛ لاستواء كل الغني والفقير حينئذ .

لكن يبقى السؤال الأخير : كيف الطريق من الاشتراكيين لإزالة الملكية الخاصة ؟.

في الإجابة على هذا السؤال يتضح أن هنالك أكثر من طريق :

الأول : التدخل المباشر من الدولة لنزع الملكية الخاصة ، وتملك الجماعة لها ، وذلك عن طريق المصادرة للأملاك وغيرها.

الثاني : إن الإخضاع لمجموع الجماعة يؤدي هذا بدوره إلى فقدان الفرد ملكيته الخاصة ، أي أنها تنتقل بذوبانها في الجماعة الأم ، وهذا ما أشار إليه النص السابق ذكره (لابد أن تجعل كتلة من أدوات الإنتاج خاضعة لكل فرد ، وأن تجعل الملكية خاضعة للجميع . إن التعامل العمومي الحديث لا يمكن بالتالي أن يخضع للأفراد إلا في حال خضوعه للجميع)([١]).

الثالث : طريق غير مباشر تماما ، لكن له أثره القوي في الإلغاء وتحويل الملكية الخاصة إلى عامة ، وهو (إذا استحوذ الحاكم المستبد على مائة في المائة من الريع والأرباح والفوائد المتولدة من الموارد الطبيعية والأصول المادية في دائرة حكمه ، وقام أيضا بتحديد أجور العمال بغية تعظيم الضريبة الضمنية على ناتج العمل ، فلن يكون هناك تقريبا أي ملكية خاصة أو أي إنتاج يُدار إدارة خاصة ، أي إنه لن تبقى ملكية يحتفظ بها الرعايا لمصلحتهم الشخصية)([٢]).

---

[١]) الإيديولوجية الألمانية ، كارل ماركس ، ص٨٤ .

[٢]) السلطة والرخاء : نحو تجاوز الديكتاتوريتين الشيوعية والرأسمالية ، منصور أولسون ، ترجمة : د/ ماجدة بركة ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

وبهذا تكون الشيوعية ووليدتها الاشتراكية قد ضيقتا الخناق على رعاياها بفقدانهم وسائل التملك الخاص بهم ، فإن ما ذُكر في النص من الريع والأرباح والأصول ..الخ ما هي إلا وسائل يتوصل بها الشخص إلى التملك الشخصي النفعي له ، فإذا ما فقده فقد ما يؤدي إليه وهو ما نتج عنه .

المبحث الثاني

جهود الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى –

في نقد الاشتراكية العلمية فيما يخص الجانب التشريعي (الملكية الفردية نموذجا)

لم تكن الملكية الفردية في الفكر الإسلامي خارجة عن مبادئ الإسلام وقواعده وأصوله في نظرته إلى تلك القضية ، فقد جاء الإسلام الحنيف ونظَّم تلك المسألة وهذبها ، ووضع لها قيودا وحدودا تضعها على الطريق الصحيح من جانب ، وكيفية التعامل الصحيح معها أيضا من جانب آخر .

ومن هنا فقد جاء تعامل الشيخ الإمام – رحمه الله تعالى – مع تلك القضية من نفس المنظور الذي انطلق منه الفكر الإسلامي في التعامل مع تلك القضية ، ألا وهو مبادئ الإسلام وأصوله في ذات نفس الأمر ، لكن الشيخ – رحمه الله تعالى –كانت له بعض لمسات وبصمات شخصية عن غيره ممن تناولوا تلك القضية تميزه في منهجه وفكره، مما أضفى على العمل الإنساني في الفكر والتعامل نوعا من الخصوصية في هذا التعامل .

والشيخ الإمام – رحمه الله تعالى – في مجابهة ما رامت إليه الاشتراكية العلمية من زوال الملكية الفردية يقرر أولا فرضية قيام التشريع على الإيمان بالله تعالى ، فهو يقرر أن (التشريعات والتصرفات التي لا تؤسس على الإيمان بالله تعالى وشرائعه ، لابد أن تكون عاقبة أهلها إلى الخسران والدمار)([1]).

ولا ريب أن لفظة (التشريعات والتصرفات) جاءت على عمومها كما أطلقها الشيخ ، فيدخل فيها تلك التشريعات والتصرفات التي أطلقتها الاشتراكية وأسستها ، إذ أنها قامت على غير الإيمان بالله تعالى قطعا .

ولا ريب أن هذا أيضا يتضمن محاربة قوية للمذهب الاشتراكي إذ أن في هذا تحذيرا قويا من مغبة تلك التشريعات التي قامت على غير هدى وإيمان ، وهذا يقتضي البعد التام عنها وضرورة قيام التشريع والتصرف على أساس الإيمان بالله تعالى وحده دون ما سواه .

---

[1]) إلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، ٤٩ .مصر ، دار الشروق ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م . بدون رقم طبع

ثم بعد بيان ضرورة ابتناء التشريع في حقيقته على الإيمان بالله تعالى ، يتعرض الشيخ – حقيقة – إلى مسألة إلغاء الملكية الفردية نصا ، فيتناولها بالنقد ، ويبين بعض آثارها وما تمخضت عنه ، فهو يرى أن أشخاصا (قاموا ينادون في بعض الأمم المتحضرة بإلغاء نظام الملكية الفردية ، فاضطرب حبل الجماعة ، واختل توازنها ، وانتهى الأمر بهم إلى إنكار الأديان والقوانين ، وأريقت في ذلك دماء الملايين من النفوس البشرية ، وما كان ذلك إلى نتيجة إهمال الغني لحق الفقير ، واستغلاله لمنفعته الشخصية)([١]).

وتلك التحذيرات التي أطلقها الشيخ – كما هو في النص – من خلال تلك الآثار الناجمة عن الإلغاء التام للملكية الفردية ، تحدث أثرا قويا في النفس ، تمثل رادعا قويا لها ، يحجبها عن الوقوع في براثين تلك الاشتراكية التي قامت على ظلم الفقير على حساب الغني ، بما يقرر في النفوس السوية والعقول السليمة ضرورة تركها ومحاربتها ، وعدم الانصياع لها بحال .

ثم ينطلق الشيخ الإمام – رحمه الله تعالى – من الرؤية الإسلامية لتلك القضية ، فيعقد مقارنة بين الإسلام وغيره قائلا : (أما الإسلام فقد قدَّر – وهو في أول مرحلة من مراحل الدعوة – قبل تهيئة النفوس للنظم والقوانين – خطر إهمال حق الفقير ، كما قدَّر فوضى النظام وفساد الاجتماع إذا هو ألغى الملكية الفردية ، فأقر الملكية الفردية ، وأجرى سنة الكون في مجراها الطبيعي ، ثم وضع طرق الوقاية من شر الطغيان المالي ، القاضي بتحكم أرباب الأموال واستغلال الفقراء ، ولهذا احتفظ بسنة القوانين ، وأصول الجماعات ، والحقوق الفردية ، وأمن في الوقت نفسه فتنة الفوضى الشيوعية ، فوقف وسطا بين الإفراط والتفريط ، شأنه في كل تشريع)([٢]).

وما نصَّ عليه الشيخ – رحمه الله تعالى – في السياق السابق عين النقد للمذهب الاشتراكي فيما رام إليه من إلغاء الملكية الفردية ، فقد تضمن النص :

أولا : النص صراحة على الشيوعية في مذهبها ، وبيان وقوعها في طرفي الإفراط والتفريط ، والعقل الصحيح يأبى إلا الوسط المحمود من كل شيء .

---

[١]) من توجيهات الإسلام ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٨٩ .

[٢]) من توجيهات الإسلام ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٨٩ .

ثانيا : بيان أن الإسلام جاء موافقا لكلٍ من : سنة القوانين ، وأصول الجماعات ، والحقوق الفردية ، فجاء جامعا بين الفرد والجماعة ، وأحدث تناغما بينهما ، في حين أن غيره (الشيوعية ...الخ) لم تأت بهذا التناغم ، فينبغي السير وراء من أحدث التناغم ، ووضع الأصول ، ولاءم بين الفرد والجماعة من غيره .

ثالثا : توافق الإسلام أيضا مع الكون والواقع ، وهو هنا يبرز توافق الإسلام مع العالم الخارجي الذي يتم فيه إيقاع التعامل مع تلك الملكية الفردية بما لا يصادم هذا العالم الخارجي ، في حين أن غيره تصادمت مبادئه مع هذا العالم ، فوقعت فتنة الفوضى من خلال الشيوعية في تصادمها مع الكون كما أشار النص السابق .

ثم بعد أن جابه الاشتراكية بإثبات الملكية الفردية من خلال توافق الإسلام مع الكون والسنن والواقع ، انطلق الشيخ من دائرة أخرى ليقرر نفس القضية ، ويقطع بمخالفة الإسلام للمذهب الاشتراكي فيما نحا إليه ، هذه الدائرة هي موافقة الفطرة في حب التملك ، فيرى أن الشريعة الإسلامية في نظرتها للإنسان (اعتبرته ذا شخصية مستقلة ، وفي الوقت نفسه اعتبرته لبنة في بناء المجتمع ، فأثبتت له – بالاعتبار الأول : حق الملكية لماله ودمه ، والهيمنة على نفسه وولده ، ومنحته في هذه الدائرة حق التصرف بما يراه خيرا له وسبيلا لسعادته في حياته ، وأوجبت عليه – بالاعتبار الثاني – حقا في نفسه بالخروج للغزو والجهاد ، في سبيل رد العدوان عن الوطن ، وحقا في ماله بالبذل والإنفاق في سبيل الله تعالى)[1].

فالنزول على مقتضيات الفطرة في حب التملك ، ومراعاة غريزة حب المال ، وإعطاء تلك الفطرة حاجاتها من هذه النهمة التي جبلت عليها ، وهذا يُعد في حد ذاته نقد للاشتراكية في مذهبها النافي لهذه الغريزة ، إذ تقرير الفطرة ونهج مسلكها ، يأتي بيانا لعوار مخالفتها والخروج على سننها .

وفي مسلك جديد من الإمام الراحل – رحمه الله تعالى – يبرز الشيخ مفهوما جديدا تمسك به كثيرا ، وأبان عنه في كثير من كتبه ومؤلفاته ، ألا وهو تعبير (الشخصية)

[1]) تفسير القرآن الكريم – تفسير الأجزاء العشر الأولى ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٢٩ . مصر ، دار الشروق ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م . الطبعة الثانية عشر .

والاحتفاظ بها ، وعدم الذوبان في غيرها ، تلك اللفظة الجديدة التي دعت مفكرا كالأستاذ عباس العقاد ([1]) – رحمه الله تعالى – أن يقول : (في كتابات الإمام الفقيد – الشيخ محمود شلتوت – كلمات لها طابعها الذي تتميز به بين أمثالها من الكلمات في كتابات غيره ، ممن ينهضون بأمانة الدراسة الدينية .

ولعل أبرز هذه الكلمات في كتاباته وفي أحاديثه ((كلمة الشخصية)).

يلحقها بوصف العقيدة ، ووصف الفرائض المقدسة ، بل يجعل العقيدة – كما يجعل الفريضة – معلما من معالم شخصية الأمة ، وشخصية الإنسان في حياته الباطنة وحياته الظاهرة)([2]).

وتلك الشخصية في تعبيرات الإمام الراحل تمثل معصما قويا في احتفاظ تلك الشخصية بملكيتها وكل ما لها وعدم ذوبانه في غيره ، ف(للفرد في حياته شخصيتان : شخصية مستقلة يُسأل بها عن نفسه ، في جسمه وعقله وروحه وماله وعمله ، وإليها تتجه التكاليف الفردية ، وشخصية عامة يكون بها لبنة في بناء المجتمع ، بها يُسأل عن صلاح مجتمعه ، ومدى ما يقدم له من خدمات ، وعما يحققه له المجتمع من سعادة ، وإليها تتجه التكاليف الجماعية .

وبقدر نصيب الفرد من إدراك الحقائق والشعور بالمسئولية ، وقوة الخلق والإرادة، وسمو الروح وشرف الغاية ، يكون نصيب المجتمع من الصلاح والقوة والسعادة ، وبالعكس)([3]).

ويقرر أن (من القضايا التي لا تحتاج إلى برهان: «لا وجود لمن لا شخصية له»)([1]).

---

[1]) العَقَّاد (١٣٠٦ - ١٣٨٣ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٦٤ م): عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد: إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع. أصله من دمياط، انتقل أسلافه إلى المحلة الكبرى، وكان أحدهم يعمل في (عقادة) الحرير. فعرف= =بالعقاد. وأقام أبوه (صرافا) في اسنا فتزوج بكردية من أسوان. له مؤلفات كثيرة ، منها (عن الله – عبقرية مُحَمَّد – عبقرية أبي بكر) وغيرها كثير . انظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج٣ ، ص٢٦٦ .

[2]) الإسلام والحضارة الإنسانية ، عباس محمود العقاد ، ص٣٨ . مصر ، مطبوعات نهضة مصر ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م . الطبعة الثانية .

[3]) من توجيهات الإسلام ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٤٤٩ .

ومن خلال دعوة الإمام الراحل إلى احتفاظ الإنسان بشخصيته ، وحيث يدخل فيها الاحتفاظ بملكيته الفردية وعدم ذوبانها في غيرها ، يتضح أمور :

أولا : دعا الإنسان صراحة أن يكون ذا إرادة قوية ومنعة منيعة في الاحتفاظ بتلك الشخصية التي وهبها الله تعالى إياها ، وتلك الإرادة القوية النابعة من نفس الإنسان ذاته تمثل حجر عثرة أمام هذا الذوبان ، إذ الذوبان يعني الانصهار والتمييع في الآخر ، والقوة تعني الاحتفاظ ، فلا يكون ثمة التقاء .

ثانيا : دعا إلى إعمال العقل ، وتقرير مبدأ النظر ، والرجوع إلى التفكر ، في أن الإنسان كيف يرضى لنفسه أن يكون إمعة وراء غيره ، يُقَاد ولا يكون ذا رأي أو صوت حر وشخصية مستقلة ، وبهذه الدعوة من الشيخ محمود – رحمه الله تعالى – إلى إفساح مجال العقل أن يعمل ، يتوجه النظر والتفكير ويتحرر العقل من تلك التبعية التي القت بظلالها الاشتراكية على تلك الشخصية المذابة .

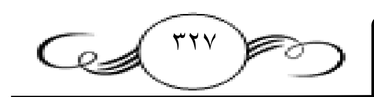
ثالثا : كعادته دائما في تناوله للقضايا ، أعمل الشيخ – رحمه الله تعالى – مبدأ الوسطية في معالجة تلك القضية المهمة ، وهي ذوبان الشخصية لدى الفرد ، وموقع الوسطية هنا في كونه دعا إلى تحرر تلك الشخصية وسموها وضرورة وجود كيان مستقل لها ، هذا من جانب ، ورتب على هذا كله نمو المجتمع وسموه ورقيه ، هذا من جانب آخر ، وبإعمال الطرفين وتقرير الأمرين تكون الوسطية ظاهرة واضحة ، فليس ثمة تحرر تام للشخص من تبعاته تجاه مجتمعه ولا انسلاخه الكامل من هذا المجتمع ، وليس ثمة أيضا ذوبان تام لهذه الشخصية في هذا المجتمع فيُظلم هذا الشخص وتضيع حقوقه.

هذا ، ومن خلال ما سبق من نصوص عن الإمام الراحل – رحمه الله تعالى – يتضح أن جهود الشيخ في محاربة الاشتراكية فيما نحت إليه من إلغاء الملكية الفردية يتقرر من وجوه :

الأول : دعوة الشيخ صراحة إلى ضرورة قيام التشريعات والتصرفات على أساس الإيمان بالله تعالى ، وهو هنا يحارب الاشتراكية قطعا لعدم إيمانها بالله تعالى ، إذ ما قامت إلا على الإلحاد ورفع شأن المادة كما مر ذكره وبيانه .

---

[١]) منهج القرآن في بناء المجتمع ، الشيخ شلتوت ، ص٧٩ .



الثاني : أجرى الإمام الراحل مقارنات واضحة بين الإسلام في نظرته إلى الملكية الفردية والاشتراكية في نظرتها نحو نفس القضية ، فبين مزايا الإسلام ووسطيته ، وأنه وافق بين الفرد والجماعة في هذا الأمر ، وفي الوقت ذاته أظهر بوضوح عوار الاشتراكية بركوبها متن الشطط والغلو والإفراط والتفريط ، وإحداثها مواطن الشبهات والفتن ، وبضدها تتميز الأشياء كما يقولون .

الثالث : لم يظل الشيخ – رحمه الله تعالى – على مسلك واحد في تناوله لتلك القضية ، بل نوّع من مسالكه ، وأتى بأكثر من لون في هذا التناول لتلك القضية ، بما يفتح آفاقا للعقل المتجرد للنظر والتفكر ، وبما يقرر خواء هذا المذهب الذي يدعو إلى ذلك الإلغاء.

الرابع : يُلاحَظ أيضا تأكيد الشيخ على المنهج والوسيلة المفضية إليه في الاحتفاظ بتلك الملكية التي تأبى الاشتراكية إلا إلغاءها ، فأما المنهج فيتمثل في الإيمان بالله تعالى ، وقيام التشريع على أساس من ذلك ، وأما الوسيلة فهي متعددة ، وخير مثال على ذلك الاحتفاظ بالشخصية كسبيل إلى الاحتفاظ بما تؤول إليه وهي الملكية .

الفصل الثالث

نقد الاشتراكية العلمية في فكر الشيخ محمود شلتوت فيما يخص الجانب الأخلاقي.

توطئة :

لم يسلم الجانب الأخلاقي هو الآخر – فيا يتعلق بالمذهب الاشتراكي – من توجيه سهام النقد له من قبل العلماء والباحثين في مجال الأديان والمذاهب والأحزاب ، بل تناولوا هذا المذهب في هذا الجانب وبيَّنوا فيه معاول الهدم ،

وأظهروا فيه تلك الثغرات التي تكتنف هذا المذهب ، وتقرر من خلال هذا النقد للاشتراكية خطورة تلك الأخلاق المرذولة التي تمخضت عن تلك المبادئ التي نادت بها الاشتراكية من جانب ، والتطبيقات والأفعال التي أوقعتها فعليا من جانب آخر .

وكان ممن تناول ذلك الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – ، فقد تناول الجانب الأخلاقي للاشتراكية من أكثر من زاوية ، وأتى على تلك الأخلاق فبيّن ضراوتها وشدتها ، وكم مدى أثرها على الفرد والمجتمع ، ونادى بضرورة التخلي عن تلك الأخلاق حتى يسلم المجتمع ككل من براثين تلك الآثار الناجمة عن تلك الأخلاق الطالحة ، بما يأتي بصورة مشرقة ذات جوانب متعددة للإمام الراحل – رحمه الله تعالى – .

وليكن البدء أولا ببيان الأخلاق المرذولة التي نجمت عن الاشتراكية ومبادئها ، على النحو التالي بإذن الله تعالى :

المبحث الأول

بيان ما قام عليه المذهب الاشتراكي فيما يخص الجانب الأخلاقي .

لا مرية – على الإطلاق – في أن النظم والمذاهب الوضعية إذا ابتعدت عن طريق الحق ، وخالفت منهج السماء ، وتعلقت بالهوى والميول والأمزجة فقط ، فإن خطئها أكثر ، وعطبها أظهر ، وما تمخض عنها من آثار أشد خطورة وهلاكا ، على المستويين : الفردي والجماعي بلا شك .

والاشتراكية وما رسمته لنفسها من مبادئ وأصول قد بدا فيها ذلك جليا ، بما جعلته لنفسها وما قررته ، قد جنت على الأخلاق جناية عظيمة ، وراحت تقرر أخلاقا أخرى تماما خالفت بها المنهج الصحيح ، فنفرت منها النفوس السليمة والعقول الصحيحة على السواء .

والمتمعن في طبيعة تلك الأخلاق المرذولة المتعلقة بما قررته الاشتراكية ، يلاحظ أنها تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ما قصدته الاشتراكية من أخلاق بعينها دعت إليها صراحة .

القسم الثاني : ما أتى بطريق غير مباشر ، من خلال ما تمخض عن مبادئها وأصولها .

وتفصيل ذلك على النحو التالي بإذن الله تعالى :

القسم الأول : ما قصدته الاشتراكية من أخلاق بعينها دعت إليها صراحة :

والمقصود من تلك الأخلاق ما نصت عليه الاشتراكية نصا ، وقررته تقريرا ، ودعت إليه دعوة صريحة ، ولم تتنكر من تلك الأخلاق التي أبت إلا التمسك بها ، فجاءت آراء أصحاب المذهب ومقرريه ومنظريه نصا في المسألة ، يقطع أي شك يحوم حول ما كان هم قائلو هذا القول أو لا .

فمن الأمور التي نصت عليها الاشتراكية مسألة إلغاء الأسرة ، فمن المقطوع به في المنظور الاشتراكي (الدعوة إلى الغاء الأسرة)([1]).

---

[1]) الأيدولوجية الألمانية ،كارل ماركس ، ص٧٤ .

ولا ريب أن هذا يتمخض عنه أخلاق مرذولة قطعا ، فحينما تُلغى الأسرة – وهي المحضن الأول للتربية ، واللبنة الأولى للمجتمع – تنتشر الفوضى ، وتنعدم التربية ، وتحل أخلاق مرذولة ، وينشأ جيل لا يعي مهمته ، وينحرف عن الجادة ولابد .

وكخطوة لهذا الإلغاء لنظام الأسرة ، فهم يدعون إلى تحرر الأبناء من آبائهم ، وقد سبق القول بذلك في بيان مبادئ المذهب ، فهم يوجهون سؤالا قائلين :(أتأخذون علينا أنّنا نريد إلغاء استغلال الآباء لأبنائهم؟ هذه الجريمة نعترف بها، لكن تقولون إننا، بإحلال التربية المجتمعية محلّ التربية البيتية نقضي على أكثر العلاقات حميمية) ([1]).

فبين الاعتراف بالجريمة – كما هو منصوص عليه – وانحلال الأبناء من تربية البيت والأسرة وما ينتج عنه ، لم يتنكر أصحاب المذهب ومؤسسوه من ذلك ، ولا أدري هل كان هؤلاء على عقل فيما راموا إليه وما سينتج عنه ؟ أم أن الكلام هذا في إطلاقه يأتي على عواهنه بلا أمور مدروسة ومحسوبة ؟.

وإذا كانت التربية البيتية ملغاة في المنظور الاشتراكي ، وإذا كان ما يترتب عليها تم اعتباره أخلاقا سيئة مرذولة ، فإن من الأخلاق التي نصت عليها الاشتراكية صراحة : خلق العنف ، ولا ريب أنه خلق مذموم ، يقابله خلق اللين وهو من الأخلاق الحميدة ، فهم (ينادون علانية بأن لا سبيل لبلوغ أهدافهم إلا بإسقاط النظام المجتمعي القائم بالعنف. فلترتعد الطبقات السائدة خوفا من ثورة شيوعية ([2]).

وهذا النص وما يحمله من دلالات قاطعة في اتخاذ (خلق العنف) هو الوسيلة ، يحمل دلالات أخرى يمكن استنباطها ، يؤيد ما رام الباحث إليه من إثبات أن خلق العنف المذموم ، قد بلغ في المنظور الاشتراكي مبلغا كبيرا ، وذلك من خلال ما يلي :

أ- أن أصحاب المذهب قد جعلوا العنف هو الأصل والأساس الذي سينطلقون منه ، فلم يفترضوا سبلا أخرى تحمل السلام ، فجعلوا العنف هو المبتدأ ، وما بعده ليس في دائرة توقعات أصحاب المذهب أصلا ، وهو ما ينبوا عن ضيق الرؤية للمذهب وأصحابه .

---

[1]) بيان الحزب الشيوعي ، كارل ماركس ، فريدريك إنجلز ، ص١٥ .

[2]) بيان الحزب الشيوعي ، ص٢٧ .

ب– يشير النص أيضا إلى أن العنف كما سيكون ابتداءً ، فإنه سيكون المعول عليه أيضا انتهاء ؛ والابتداء هنا المقصود به قولهم : (لا سبيل لبلوغ أهدافهم ...الخ) ، والانتهاء المقصود به ما ينتج عنه ، وهو الثورة الشيوعية المرام تحقيقها .

ج– ومع أن العنف في ذاته يحمل أمورا سلبية : كالخوف والرعب والدمار والهلاك ...الخ ، إلا أن أصحاب المذهب لم يكتفوا بذلك ، بل راحوا يؤكدون على نظرتهم الحاملة للعنف بقولهم : (فلترتعد الطبقات السائدة خوفا ...) ، وهو ما يؤكد هذا التأصل الذي تحمله أدبيات المذهب من العنف وما ينتج عنه .

وكل هذا وغيره يؤكد تأكيدا قويا مدى رسوخ تلك الأخلاق المرذولة في نفوس أصحاب المذهب الاشتراكي ، ومدى تأثرهم بالقول بها .

وإذا كانت الدعوة إلى العنف تنظيرية في أدبيات الاشتراكية ، فإن الأوصاف التي جاءت في وصف صاحب المذهب كانت تؤكد ذلك وتدل عليه ، فقد (كان ماركس أشد الناس ميلا إلى العراك وبُعدا عن التسامح ، فمنذ بداية أمره لم يستطع أن يؤمن أن من لم يتبع أسلوبه في التفكير يمكن أن يكون على صواب)([1]).

وإذا كان العنف مما تؤكد عليه أدبيات المذهب ، فإن (الزنا) لم يكن أحسن حالا هو الآخر ، فهم (يريدون إحلال إشاعة رسمية و صريحة للنساء محل إشاعة مستترة نفاقا)([2]).

ومع أنهم يؤكدون أن غيرهم يفعل الزنا استتارا ، إلا أن غيرهم فيما ذهب إليه أقل سوأة منهم ، فإن المجاهرة بالفاحشة لا ريب سيعمل على انتشارها وعدم المبالاة بوقوعها ، وهو ما ينذر بكارثة أخلاقية مشينة بلا ريب ، تنحل فيه عرى المجتمع ، وتختلط فيه الأنساب ، وتصبح الفاحشة على مسمع ومرأى من هذا المجتمع وليس ثمة منكر .

ولا غرابة في شيوع تلك الأخلاق السيئة التي تبنتها الاشتراكية ونادت بها علانية، ولما لا وهم يؤكدون على إلغائها صراحة ، ، فهم يؤكدون :(أن الشيوعية تلغي

---

[1]) قادة الفكر الاقتصادي ، روبرت هيلبرونز ، ترجمة : د / راشد البراوي ، ص١٧٠ ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ طبع .

[2]) بيان الحزب الشيوعي ، ص١٦ .

الحقائق الثابتة، تلغي الأديان و الأخلاق بدلا من تجديد تشكيلهما، فهي تناقض – إذن – التطورات التاريخية السابقة كّلها "([1]).

والسؤال الآن : إذا ألغت الاشتراكيةُ (الأخلاقَ الحسنة) ، فماذا يبقى حينئذ إلا الأخلاق السيئة ، فكلاهما ضدان لا يجتمعان إطلاقا ، إذا ارتفع أحدهما بقى الأخر بلا أدنى شك .

القسم الثاني : ما أتى بطريق غير مباشر ، من خلال ما رامت إلى تحقيقه وتمخض عنه .

إذا كانت الأخلاق ملغاة في المنظور الاشتراكي ، وإذا كان هذا مما أكدَّه أصحاب المذهب صراحة ، فإن هناك أمورا أخرى حاولت الاشتراكية تحقيقها ولم تقصد منها أخلاقا سيئة بعينها ، لكن تمخض من خلال هذا أخلاق مرذولة ، تأتي ملاصقة تماما لما ترنوا الاشتراكية إلى تحقيقه وتطبيقه .

ومن تلك المسائل التي يتمثل فيها هذا ، مسألة (الطبقات) ، حيث كانت تلك المسألة من أوضح الأمور التي يتضح فيها هذا الأمر جليا ، وذلك من خلال هدف أصحاب المذهب إلى شيء بعينه فيما يخص مسألة الطبقات ، ثم من خلال ما نادوا به ، وما حققوه فعليا ظهرت أخلاق أخرى مرذولة كردة فعل على ما دعوا إليه .

أمَّا ما دعت إليه الاشتراكية صراحة فكان إلغاء الطبقية ، وجعل المجتمع طبقة واحدة سيان ، حتى كان من مبادئهم وأصولهم التي قاموا عليها ، أن (تاريخ المجتمع هو تاريخ صراع الطبقات)(([2]).

وقد فسَّر ماركس هذا الصراع بشكل أوضح في موضع آخر من كتبه ، لينبئ في حقيقة الأمر كيف أن تلك المسألة شغلت حيزا كبيرا جدا في فكر ومؤلفات أصحاب المذهب ، فهو يقول : (لقد حولت الظروف الاقتصادية جماهير البلاد إلى عمال ، وخلقت سيطرة رأس المال لهذه الجماهير وضعا مشتركا ، مصالح مشتركة ، ومن هنا فإن هذه الجماهير هي بالفعل طبقة في مواجهة رأس المال ، ولكنها ليست بعد طبقة لذاتها ، وفي الصراع – الذي لم نشر إلى بعض جوانبه – تتوحد هذه الجماهير وتتشكل كطبقة

---

[1]) نفس المرجع ، ص١٧ .

[2]) الأيدولوجية الألمانية ، كارل ماركس ، ص١١ .

لذاتها ، وتغدو المصالح التي تدافع عنها مصالح طبقية ، لكن صراع طبقة ضد طبقة هو صراع سياسي)([1]).

وعلى هذا التفسير الماركسي – إن صح التعبير – يصبح التشكل الجديد لمجموعة من الناس في شكل طبقة ، فضلا عن توحدها للدفاع عن مصالحها ، كل هذا يدور في دائرة طبقية محضة لا محيص عنها ، ومن خلالها تتشكل الطبقات ليصبح صراع طبقي دائم لا ينتهي .

ومما يدل على مدى بلوغ تلك الفكرة (الطبقات) في الفكر الماركسي ، هو تحديد إقامة أي مجتمع – مهما كان – إنما يتوقف بالدرجة الأولى على وجود صراع طبقي، ومن هنا فـ(إن الطبقة المقهورة هي الشرط الحيوي لأي مجتمع يقوم على تناحر الطبقات ، ومن هنا يتضمن انعتاق الطبقة المقهورة بالضرورة إقامة مجتمع جديد)([2]).

ومن خلال هذه الأطروحات الاشتراكية يتضح الآتي :

أولا : إن تحديد الصراعات التاريخية ، فضلا عن ارتهان إقامة مجتمع جديد كل هذا بالصراع الطبقي ، يدل دلالة واضحة عن مدى العمق الفكري المتأصل للاشتراكية فيما يخص تاريخ الطبقات وتشكل وجودها ، ومدى تأثيرها على الواقع .

ثانيا : والذي يظهر من ادعاءات الاشتراكية فيما يخص تصوير المجتمعات على أنها دائرة في صراع طبقي ، أن حركتها و دعوتها ما جاءت إلا لتخلص المجتمع من تلك الطبقات وصراعاتها التي لا تنتهي ، فـ(طروحات الشيوعيين النظرية لا تقوم قطعا على أفكار، على مبادئ، ابتكرها أو اكتشفها هذا أو ذاك من مصلحي العالم. إنّها فقط تعبير عام عن الشروط الحقيقية لصراع طبقي قائم عن حركة تاريخية تجري أمام أعيننا) ([3]).

وعلى هذا فقيام الاشتراكية – بناء على تلك النظرية – جاءت كالمخلص من صراع تلك الطبقات .

---

[1]) بؤس الفلسفة– رد على فلسفة البؤس لبرودون ، كارل ماركس ، ترجمة : مُحَمَّد مستجير مصطفى ، ص٢٥٢ . بيروت ، مطبوعات دار التنوير ١٤٣٠هـ – ٢٠١٠م . الطبعة الرابعة .

[2]) نفس المرجع ، ص٢٥٢ ، ٢٥٣ .

[3]) بيان الحزب الشيوعي ، كارل ماركس ، فريدريك إنجلز ، ص١٢ .

ثالثا : الواضح كذلك من خلال تلك السياقات السابقة أن دعاة الاشتراكية ألقت باللوم على (الرأسمالية) كحركة اقتصادية نتج عنها هذا الصراع الطبقي ، ويظهر هذا من قولهم السابق : (وخلقت سيطرة رأس المال لهذه الجماهير وضعا مشتركا ، مصالح مشتركة ، ومن هنا فإن هذه الجماهير هي بالفعل طبقة في مواجهة رأس المال ...الخ) .

ومن هنا فإن محاولة توحيد المجتمع كطبقة واحدة – في المنظور الاشتراكي – يأتي كرد فعل على الواقع الرأسمالي من وجهة نظرهم .

لكن ، هل تلك المحاولات التي رامت الاشتراكية إلى تحقيقها من توحيد المجتمع في صورة طبقة واحدة ، هل تم فعليا ؟ وهل تم القضاء على جميع الطبقات وتوحيدها في صورة طبقة واحدة ؟.

في الإجابة على هذا السؤال يتضح ما رام الباحث إلى إثباته أولا ، من تقرير أن ما حاولت الاشتراكية فعله لم يحدث ، بل نتج عنه أمور أخرى معاكسة تماما لما نادت به ، وتمحض عن هذا أخلاق سيئة أصبحت ملازمة لهذا .

إن ما حدث عكسيا هو أن المجتمع من خلال تقسيم الاشتراكية له من عمال ورؤساء ، أو رعاة وقادة أصبح طبقيا بالفعل ، ولم تفلح الاشتراكية فيما نادت به ، بل العكس هو الذي حدث تماما ، (فالنظام الاشتراكي هو الآخر يتكون من طبقتين : طبقة العمال الكادحين ذوي الأجور الصغيرة ، وطبقة الحكام وذوي الدخول الكبيرة من أصحاب المواهب النادرة)([1]) .

فهذا الذي حدث تطبيقيا أين يوجد فيه توحيد الطبقات الذي نادت به الاشتراكية ؟ وأين ما حاربت الرأسمالية من خلاله ؟.

إن تعريف (كارل ماركس) نفسه للطبقة ينتج عنه هذا الصراع الذي أظهر أنه جاء يحاربه ، فـ(الطبقة في تعريف (كارل ماركس) هي الطائفة التي تكون لها مصالح

---

[1]) الاقتصاد الإسلامي : أسس ومبادئ وأهداف ، د / عبد الله بن المحسن الطريقي ، ص٣٢ . السعودية ، توزيع مؤسسة الجريسي للطبع والنشر ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م . الطبعة التاسعة .

معارضة لمصالح طبقة أخرى .... فلا بد من فرض وجود عداوة بين الطبقات حتى يقال إنها طبقات)([١]).

فعلي هذا الأساس فإن طبقة العمال تتعارض مصالحها مع طبقة الحكام الشيوعين ، إذ لا تتساوى الفرص والحوافز والمكافآت ، فتصبح طبقة ضد طبقة من واقع كلام ماركس نفسه .

وبناء على هذا ونزولا عليه فـ(إن الشيوعية لا ترى في الحكومة إلا سلاحا في يد طبقة هي في صراع رهيب دائم مع طبقة أخرى ، سواء أكانت طبقة المستغِلِين ذي الثورة والإقطاع ، أم كانت طبقة الكادحين المستَغَلين)([٢]).

هذا ، ولما كانت المجتمعات الاشتراكية قد تمخض عنها وجود أكثر من طبقة ، فإن ما نتج عن ذلك هو ولادة أخلاق سيئة بسبب تناحر هذه الطبقات .

فمن المعروف أن الهرم الطبقي في أي مجتمع ينتج عنه ظلم واحتكار وضياع حقوق ، فـ(خلاصة الفكر الشيوعي ها هنا أن الناس ليسوا أفرادا ، وإنما هم طبقات ، ولا عبرة بوجود الفرد ، ولا كيان للفرد ، إنما الكيان للطبقة .

وتتحدد الطبقات بنوع الإنتاج الذي تمارسه ، وعندئذ ينقسم المجتمع حتما إلى مستغِل ومستغَل ، ظالم ومظلوم ؛ لأن الذي يملك الإنتاج لابد أن يظلم العامل في الإنتاج . حتما حتما حتما بغير محيد ولا محيص ولا مناص ولا مفر ، إلى آخر اللاءات التي تثبت الحتمية التي لا بديل لها ولا استثناء فيها)([٣]).

فلا ريب أن الاستغلال والظلم – كما هو في النص – أخلاق طالحة ، ما نتجت إلا من خلال ما تمخض من بناء المجتمع الاشتراكي في الفكر الماركسي ، والذي نتج عنه وجود أكثر من طبقة متناحرة ، أدى بالضرورة إلى وجود أخلاق سيئة ناتجة عنها ولابد .

---

[١]) الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام ، عباس محمود العقاد ، ص١٢٦ .

[٢]) الشيوعية ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص٧٥ .

[٣]) الشيوعية ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص٦٣ .

إن الذي يدَّعي أن وجود أكثر من طبقة لا ينتج عنه ظلم وافتراء ما هو إلا مناقض تماما للواقع ، فالواقع يقرر أن(الطبقية في كثير من بقاع الأرض تقوم على هذا الأساس الخرافي ، وتعطي مجموعات من الناس حقوقا خاصة)([1]).

فهل هذه الحقوق الخاصة إلا مزايا للبعض دون الآخر ، وهو يحمل في الوقت ذاته ظلما للبعض المهضوم ؟.

هذا ، ومن خلال ما سبق يتضح أن فكرة (الطبقات) في الفكر الاشتراكي مرت بثلاثة مراحل ، وهي :

الأولى : ادعاء الاشتراكية أنها ما جاءت إلا لتخلص المجتمعات من تلك التناحرات الطبقية التي أفرزتها الرأسمالية ، حيث طبقة (أصحاب رأس المال) و (العمال) ، وما بينهما من تناحر لابد من القضاء عليه .

الثانية : إن الواقع قد أكدَّ أن المجتمع الاشتراكي قد وقع فيما حارب به غيره ، حيث انقسم المجتمع نفسه إلى أكثر من طبقة .

الثالثة : حتمية وجود أكثر من طبقة تقرر وجود أخلاق سيئة ناتجة عنها ، كالظلم والجور واحتكار النعم ...الخ ، وكلها أخلاق مرذولة تمخضت فعليا عن واقع المجتمع الاشتراكي آنذاك .

وفي مواجهة تلك الأخلاق السيئة بنوعيها (الصريحة والمتمخضة عن أصول ومبادئ المذهب) يأتي دور الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت ، وهذا في تلك الصفحات المقبلة إن شاء الله تعالى ...

---

[1]) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، الشيخ محمد الغزالي ، ص٢١ . مصر ، مطبوعات نهضة مصر ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م . الطبعة الثالثة.

المبحث الثاني

جهود الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى –

في نقد الاشتراكية العلمية فيما يخص الجانب الأخلاقي.

جاءت ردود الشيخ الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – على المذهب الاشتراكية غاية في هدم قواعد المذهب وأصوله فيما يخص جانبه الأخلاقي ، فقد أتى الشيخ الإمام على تلك الأخلاق المرذولة فحاربها ، وقرر أخلاقا أخرى صالحة وأوضحها ، وحارب مسألة الطبقات التي تمخضت عن آراء الاشتراكية فنسف فكرتها ، وأبان آثار هذه وتلك ، وأقام الدليل النقلي والعقلي على المسلكين ، بما لا يدع في النفس السوية إلا الإذعان للمنهج السماوي الصحيح ، ثم العقل السليم .

والملاحظ في تلك الجهود التي جابه بها الإمام مساوئ الجانب الأخلاقي في الفكر الاشتراكي أنها دارت حول ثلاث زوايا ، وهي :

١– تقرير مبدأ الأخلاق الفاضلة كقاعدة عامة .

٢– العمل على إشاعة أخلاق صالحة بعينها تناقض ما رامت إليه الاشتراكية .

٣– محاربة مسألة فكرة الطبقات وما تمخض عنها .

وتفصيل هذا الإجمال على النحو التالي بإذن الله تعالى :

أولا : تقرير مبدأ الأخلاق الفاضلة كقاعدة عامة :

في سبيل خطوة إصلاحية قوية ، وفي سبيل نظرة تقويمية لما نادت بها الاشتراكية العلمية من أخلاق سيئة ، كان الشيخ الإمام الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – على الجانب الآخر ينطلق من نظرة الإسلام الجليلة في الاهتمام بالأخلاق الصالحة وتقريرها والدعوة إليها ، وإزالة العقبات في طريق تأصيلها في النفوس والعقول .

والمقصود من ذلك كله أن الإمام الراحل دعا إلى التخلق بالأخلاق الصالحة عامة ، كنظرة كلية إلى الجانب المهم الذي أولاه الإسلام عناية فائقة ، حتى كان ملازما للعقيدة والشريعة في المنظور الإسلامي .

فهو يقرر أن (الأخلاق تهذيب النفس وتزكيتها ، وترفع من شأن الفرد والجماعة ، وتقوّي عرى التآخي والتعاون بين بني الإنسان ، وتشمل : الصدق ، والصبر،

والوفاء بالعهد ، والحلم ، والجود ، والرحمة ، وغيرها مما يحقق في الإنسان ثمرة إيمانه بالله وصفاته ، التي يجب أن يكون عليها عباده)([1]).

وحينما يدعو الإمام الراحل إلى ذلك ، وحينما يقرر ثمرات تلك الأخلاق الصالحة ، فلا منزع شك أن هذا يعد حربا قوية على ما قررته الاشتراكية العلمية من إلغاء الأخلاق كلية ، ومحاربتها محاربة صريحة لا تحمل مواربة أو شك ، وبين تلك المحاربة للأخلاق من الجانب الاشتراكي ، وتقرير تلك الأخلاق الصالحة من جانب الشيخ تتقرر تلك الجهود ، وتظهر تلك الجوانب، وتبرز تلك المجابهات للإمام الراحل –رحمه الله تعالى–

ثم لا يكتفي الإمام الراحل بالتنظير لذلك فقط ، بل ينزله على الواقع ، ويدعو إلى التخلق الحقيقي بهذه الأخلاق الفاضلة ، ويقرر أن الإسلام له نظرة خاصة تطبيقية في الجانب الأخلاقي ، (فأما نظرته إلى الجانب الخلقي فإنه يريد أن يكوّن مجتمعا متراحما متعاونا ، لا تكون قاعدة التعامل فيه أن يستلب القوي ما في يد الضعيف ، وأن تستغل حاجات المحتاجين استغلالا دنيئا لإرباء ثروات الأغنياء وتحويل الأموال إلى خزائنهم)([2]).

ومن خلال هذا النص يتضح جليا أن تلك الأوصاف تنطبق حقيقية على الاشتراكية العلمية في مجتمعها ، هذا الذي يقوم على توصيف الإمام حرفيا ، من أن (قاعدة التعامل فيه أن يستلب القوي ما في يد الضعيف ، وأن تستغل حاجات المحتاجين استغلالا دنيئا لإرباء ثروات الأغنياء وتحويل الأموال إلى خزائنهم).

هذا ، وتلك الكلمات السابقة وما قبلها من الإمام الراحل تحمل عدة دلالات في تقويض الاشتراكية العلمية في جانبها الأخلاقي ، ومنها :

أ– لا ريب في أن الإمام الراحل – رحمه الله تعالى – حينما يدعو إلى الأخلاق الصالحة كليا ، ويقرر آثارها ، ويظهر مآثرها ، فهو بهذا يناقض الاشتراكية العلمية حرفيا ، فهذا يدعو إلى أمر تحاربه و وتلغيه الاشتراكية تماما ، فكيف يلتقي هذا بذاك ؟.

---

[1]) إلى القرآن الكريم ، الشيخ الإمام محمود شلتوت ، ص٦ .

[2]) تفسير القرآن الكريم – تفسير الأجزاء العشر الأولى ، الشيخ محمود شلتوت ، ص١١٥ .

ب– إن محاولات الإمام الراحل لم تقف عند الجانب التنظيري فقط ، بل انطلق من التنظير والتطبيق لتقرير تلك الآثار على الواقع في الجانب الأخلاقي ، وهذا بلا شك يبين مدى عمق الجهود وإظهار المبذول في محاربة هذا المذهب.

ج– اشتملت كلمات الإمام السابقة على تلميحات قوية لما يحدث في المجتمعات الاشتراكية وغيرها ، ثم أنزل أخلاق الإسلام الصالحة في مواجهة مع تلك الأوصاف في تلك المجتمعات ، بما يحمل مقابلة وتضادا يبرز محاسن الإسلام ومساوئ غيره ، بما يزيد في الجهود ويقرر المقصود بفضل الله تعالى .

ثانيا : العمل على إشاعة أخلاق صالحة بعينها تناقض ما رامت إليه الاشتراكية :

إذا كانت تلك الجهود السابقة من الإمام الراحل تحمل نظرة كلية إلى الأخلاق عامة من منظورها الإسلامي ، فإن جهود الإمام لم تكتف بهذا فقط ، بل راحت تظهر أخلاقا صالحة بعينها ، تنص عليها نصا ، وتظهرها إظهارا ، وهي في الوقت ذاته تحمل دلالات قوية ، ومضامين واضحة في محاربة ما رامت الاشتراكية إلى تحقيقه .

ومن تلك الأخلاق التي ذكرها الإمام ونص عليها ودعا إليها ، (خلق التكافل والتعاون) ، إذ إن له أثرا قويا في إشاعة التراحم بين الأفراد و المجتمعات ، وتقرير الود والتعاطف بينها . فهو يقول : (ولنقف عند قوله تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) لنعلم ما يوحي به من تكافل الأمة ومسئوليتها بعضها عن بعض ، ومن أن المال الذي في يد بعض الأفراد (قوام للجميع) ينتفعون به في المشروعات العامة ، ويفرجون به أزماتهم وضائقاتهم الخاصة عن طريق الزكاة ، وعن طريق التعاون وتبادل المنافع ، وهذا هو الوضع المالي في نظر الشريعة الإسلامية)([1]).

ولم يكن التكافل والتعاون فقط هما اللذان دعا إليهما الإمام وحث على التخلق بهما ، منطلقا في ذلك من آيات القرآن الكريم ، وهو يحمل أدلة نقلية توجب هذا ، بل كان هناك خلق التضامن أيضا ، فـ(الاعتداء الواقع على مال البعض هو اعتداء واقع

[1]) تفسير القرآن الكريم – تفسير الأجزاء العشر الأولى، الشيخ محمود شلتوت ، ص١٤٧ ، ١٤٨ .

على مال الجميع ؛ نظرا لما قرره الإسلام من المسئولية التضامنية بين الأمة ، القاضية بأن المال جميعه – مع تقرر الملكية الشخصية فيه أداة لمصلحة الناس كلهم)([1]).

ويحث على خلق عظيم له أهميته البالغة في إشاعة الأمن والطمأنينة ، ألا وهو خلق العدل ، فهو يرى أن (العدل يرجع إلى تحري الحق وتقريره ، والعمل على إقراره وإظهاره ، وهو يكون في الأقوال عن طريق الشهادة ، وعن طريق الحكم ، وعن طريق كتابة الوثائق وتحريرها ، ويكون في الأفعال عن طريق التنفيذ وإعطاء الحقوق)([2]).

وبينما ينص على تلك الأخلاق بعينها ، يدعو إليها ويحث على التخلق بها ، يذكر بعض أخلاق أخرى مرذولة ، لكن ليحذر من مغبتها ، ويبين آثارها المشينة على الأفراد والمجتمعات ، ومن ذلك خلق الجشع ، فهو يحذر الإنسان من (الجشع والطمع في الحصول على ما ليس له ، وعلى ما لا حق له فيه ، وهما خلقان خبيثان يقوضان من المجتمع عمد الأمانة ، وأركان الأمن والطمأنينة) ([3]).

هذه هي بعض أخلاق صالحة نص عليها الإمام الراحل – رحمه الله تعالى – نصا، وأخرى حذر منها وحاربها أيضا ، وبين هذه وتلك تظهر جهود الإمام الراحل في محاربة الاشتراكية أيضا في جانبها الأخلاقي ، ويظهر ذلك من خلال ما يلي :

أ- لا ريب في أن تلك الأخلاق الصالحة من التكافل والتضامن والعدل تناقض تماما نظرة الاشتراكية إلى المال ، حيث تتملكه طائفة السادة في المجتمع الاشتراكي دون توزيع عادل، أو تضامن شامل ، أو تكافل ظاهر ، فاتضحت رؤية الإمام وما تمخض عنها في تقويض بعض عمد الاشتراكية في الجانب الأخلاقي من هذه الزاوية .

ب- وإذا كانت تلك الأخلاق الصالحة لها أثرها في مجابهة المنظور الاشتراكي ، فإن ما ذكره الإمام الراحل من بعض الأخلاق السيئة يحمل نفس الدلالات ، إذ أن الجشع والطمع يتمثل في الطائفة العليا في المجتمع الاشتراكي ، حيث الجشع في الاستحواذ على الثروات والأموال دون غيرهم .

---

[1]) نفس المرجع ، ص١٦١ .

[2]) الوصايا العشر ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٦٦ . .

[3])) نفس المرجع ، ص٥٥ ، ٥٦ .

ج– يلاحظ أيضا أن الإمام بنظرته الثاقبة يأتي بالخلق ويربطه بأثره على الواقع ، حيث تملك المال ونحوه ، مما يلمح إلى المذهب الاشتراكي صراحة ، خاصة قوله السابق : (...نظرا لما قرره الإسلام من المسئولية التضامنية بين الأمة ، القاضية بأن المال جميعه – مع تقرر الملكية الشخصية فيه أداة لمصلحة الناس كلهم) .

ثالثا : محاربة مسألة فكرة الطبقات وما تمخض عنها .

تأتي جهود الإمام الراحل – رحمه الله تعالى – في محاربته لفكرة الطبقات وتعددها، تلك التي وقعت في براثينها الاشتراكية وما تمخض عنها من أخلاق سيئة مردودة، كالتتمة لما سبق شرحه وبيانه ، حيث تمثل تلك الفكرة موطنا رئيسيا للاشتراكية فيما نادت به من جانب ، وما وقعت في براثينه من جانب آخر ، وما تمخض عنها من أخلاق طالحة من جانب ثالث .

وقد تناول الشيخ – رحمه الله تعالى – فكرة الطبقات هذه من جوانب متعددة هي الأخرى ،وبيَّن آثارها ونتائجها على الفرد والمجتمع ، وحذر من التمادي في التمسك بها ، فحينما تناول موقف قوم نبي الله نوح – عليه السلام – من كونهم عابوا على نوح اتباع الضعفاء له ، قال : (ولعل هذا الموقف من قوم نوح هو أول بعث لفكرة الطبقات، التي تقلب بها المجتمع البشري – ولا يزال – على كتل من الجمر ، ومحرقة للفضائل ، مضيعة للكفارات ، فمتى يفيق العالم وهو في آخر مراحل الرقي ، ويخلص نفسه من هذه العلة المزمنة ، التي اندفع إليها وهو في طور الطفولة الذي لا رشد فيه)([1]).

فمن خلال كلام الإمام يلاحظ أنه رتَّب على فكرة الطبقات حرق الفضائل ، ولا ريب في أن الأخلاق الحسنة داخلة في تلك الفضائل ، إذ لو لم تكن الأخلاق الحسنة فضائل فماذا عسى أن يكون ؟.

ثم ينص الإمام – رحمه الله تعالى – على النظام الاشتراكي صراحة ، ويبين كيف أنه بنى طبقة دون طبقة ، وفرق بين الطبقتين في كل شيء ، حيث (إن هذه النظم الاقتصادية التي يتشدقون بها ، ويأخذون على الإسلام عدم مجاراته لها ، فقد صارت الآن موضع الشك والتزلزل عند أهليها والمتعاملين بها ، وأصبح العالم يميل إلى نظام اشتراكي

([1]) إلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت ، ص٧٥ .



يحول بين أن يوجد في الشيء طائفة قليلة العدد مستحوذة على المال ، منتفعة بما يدره عليها من الربح والجاه والنفوذ ، وطائفة هي الكثرة العاملة الناصبة لا همَّ لها إلا أن تكدح لهؤلاء ، وتجِدَّ في تنمية ثرواتهم ، ثم لا ينالها من هذا الكدح والنصب إلا أدنى القوت ، وأحط المساكن والملابس .....فإذا كان أهل هذه النظم قد بدأوا يفقدون إيمانهم بها ، بل فقدوا هذا الإيمان فعلا ، وأخذوا يلتمسون سبيلا آخر ، تستقيم به الحياة السعيدة للأمم، أفلا يجدر بنا معشر المسلمين ، أن نخفف من حماستنا لها ، وثقتنا بها)([1]).

فمن خلال هذا النص يتضح كيف أن الإمام بنى تعامله مع النظام الاشتراكي على أساس وجود طبقتين فيه ، وما نتج عن وجودهما من ظلم وجشع وجور ، ثم جعل محاربته للمذهب تأصيلا لانتفاء فكرة الطبقات .

وفيما رام إليه الشيخ – رحمه الله تعالى – في زعزعة ثقة الشخص بهذه النظم ، ومنها بطبيعة الحال النظام الاشتراكي – ، تقرير لما ابتناه الشيخ أولا من جوانب النقد لهذه النظم ، إذ دعواه إلى ضعف الثقة وتقليل الحماس بها ما جاء إلا بعد بيان عوار المذهب وكشف زيوفه ، ولا ريب في أن ضعف الثقة بالشيء يؤدي إلى مسالك مهمة في انهيار هذا الشيء الذي يعتقده الشخص ويبني عليه آماله .

وفي ظني أن ما رام إليه الشيخ الإمام – رحمه الله تعالى – من نقد المذهب بضعف الثقة فيه ، يؤدي إلى :

أولا : تقليل أهمية الشيء الذي ضعفت الثقة فيه ، وضرب المواطن التي يُظن فيها القوة ، وبهذا التقليل يبدأ الشخص في الانتقال إلى مرحلة أخرى ، تفيد في ترك المعتقد غاية الإفادة ، إلا وهي :

ثانيا : التردد في ديمومة الأخذ بهذا المذهب والاستمرار عليه ، وبدء مساورة الشك فيه ، ولا منزع شك أن التردد والشك والريب تؤدي إلى الظن ، الذي يخالف اليقين تماما كما نص عليه القرآن الكريم في أكثر من آية .

---

[1]) تفسير القرآن الكريم – تفسير الأجزاء العشر الأولى – ، الشيخ محمود شلتوت ، ص١٢٢ .باختصار يسير .

وفائدة هذه النقطة غاية في تقرير المراد وتأصيل المقصود ، إذ إن تردد الشخص في معتقده ومذهبه يسهل على الخصم محاورته والغلبة عليه واستمالته إليه وإقناعه بالمراد.
ثالثا : وضعف الثقة في المذهب أيضا يؤدي إلى فتح آفاقا رحبة إلى قبول الآخر ، وفتح مساحات واسعة له ، وانهيار قناعات متصلبة في ذهن صاحبها ، وهو بهذا يؤدي إلى الحوار ، الذي يعد لبنة قوية في بيان الحق وإظهار أنواره ، خاصة إذا جاء مدعوما بالأدلة ومقرَرًا بالبراهين ، وجاء على وجهه الصحيح .

إن ضعف الثقة خطوة مهمة نحا إليها الإمام – رحمه الله تعالى – في نسف المذهب الاشتراكي ، وبناء الحق على أنقاضه ، وهذه تُعد جانبا مهما من جوانب النقد في المذهب من الجانب الأخلاقي ، فرحمة الله على الشيخ رحمة واسعة .

ثم لا يظل الإمام – رحمه الله تعالى – على موقف الهجوم فقط ، بل يقدم حلولا ناجعة لتلك الفكرة السيئة ، كحلول هادفة مقومة ، فحينما يتحدث عن آثار الزكاة ، يوجهها إل بعض آثارها في المجتمع ، ومن ذلك إزالة الفوارق وفكرة الطبقات ، حين يقرر أن أداء الزكاة (في مصارفها من شأنه أن يزيل الحواجز بين الطبقات ، فلا تكن هناك إحن ولا أحقاد ، ومن ثمَّ يسري بين المجتمع تيار المحبة والألفة والتعاون ، ويكون الكل على قلب رجل واحد ، بعضهم أولياء بعض)([1]).

وحينما تزال فكرة الفوارق والطبقات بين المجتمع ، كما أفرزتها الاشتراكية العلمية – ، فإن في هذا تقريرا بأن الطبقات كما تقرر مساوئ للأخلاق مرذولة ، فإزالتها طريق صحيح للإقرار أخلاق فاضلة مقبولة ، وبالتالي فقد حقّ القول بأن في هذا نقدا واضحا للاشتراكية في جانبها الأخلاقي الذي يرمي إلى إشاعة الأخلاق السيئة في نطاقها الواسع .

وحينما يتحدث عن المؤمنين الصالحين ، هؤلاء الذين لا يوجد بينهم إلا الأخلاق الحسنة، بيّن أنهم يتصفون بصفات طيبة ، ومنها أنهم أصحاب (المبدأ الواحد ،

---

[1]) الصوم : من شعائر الوحدة الإسلامية ، الشيخ الإمام محمود شلتوت ، مجلة الأزهر ، العدد (٩) ، السنة (٣٣) ، رمضان ١٣٨١هـ – فبراير ١٩٦٢م . ص١٠٣٩ .

يجب أن يكونوا كتلة واحدة متماسكة ، ويدا واحدة عاملة ، تربط العقيدة بين قلوبهم ، والأخوة بين عواطفهم ، لا أثرة ولا طبقات ، ولا سيد ولا مسود)([1]).

هذا ، ومن خلال تناول الإمام الراحل لمسألة الطبقات – تلك التي وقعت فيها الاشتراكية العلمية – وما نتج عنها من أخلاق سيئة ، يلاحظ ما يلي :

أ– إن الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله رحمة واسعة – قد ربط بين فكرة الطبقات وبعض آثارها من تلك الأخلاق السيئة ، وفي هذا تأييد لما رام الباحث إليه من كون الطبقات داعية إلى تلك الأخلاق المرذولة .

ب– يلاحظ أيضا أن الإمام لم يتناول تلك الأخلاق السيئة فقط ، بل تناول الأصل الذي أدى إليها ، والسبب الذي نتج عنه ، وهذا حصافة من الشيخ وحسن روية منه ، فجزاه الله تعالى خيرا .

ج– لا ريب في أن كل ما نطق به الشيخ وسال به قلمه وخطته يداه من محاربة فكرة الطبقات ، تنطبق على الاشتراكية سواء بسواء ، هذا فيما نص عليه الشيخ نصا ، أو ألمح إليه تلميحا ؛ وهذا لاتحاد السبب والمسبب عنه ، وهو واضح بفضل الله تعالى .

د– وكون الإمام الراحل ينوع من تناوله لتلك المسألة ، حيث الهجوم تارة ، وبيان الآثار المترتبة عليها تارة أخرى ، فضلا عن تقديم الحلول تارة ثالثة ، كل هذا يؤكد تلك الجهود التي قام بها الشيخ في محاربة المذهب الاشتراكي في جانبه الأخلاقي المنهار ، ثم هو تأكيد أيضا لمدى قوة تلك الجهود في هدم هذا المذهب في هذا الجانب .

---

[1]) الإسلام والوجود الدولي للمسلمين ، الشيخ محمود شلتوت ، ص٥٥ . مصر ، سلسلة الثقافة الإسلامية ، العدد (٣) ، مطبوعات دار الجهاد ١٩٥٨م .

الخاتمة

رغم ما كُتِبَ عن الاشتراكية العلمية في كثير مما يخص أصولها ومبادئها وأفكارها ، ورغم تلك المراجع التي تناولت هذا المذهب وأبانت عن كثير من سوءاته وعوراته ، وأظهرت الكثير من مخالفته للفطرة والواقع ، إلا أنه يبقى تناول الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – لهذا المذهب علامة مضيئة ونقطة فارقة في مسيرة تلك المؤلفات التي تناولت الاشتراكية بالبحث والنقد ، لتمثل دراسة منهجية في التناول ، ودقة واضحة في التوصيف ، و توصيفا قويا للواقع ، لتأتي تلك الدراسات التي تناولها الشيخ غاية في تقرير المراد والظفر بالمأمول .

وإذا كان تناول الشيخ – رحمه الله تعالى – لهذا المذهب بهذا الوصف ، إلا أن ذلك لا يقلل قطعا من تلك الدراسات الأخرى التي تناولت نفس المذهب بما تناولته به من البحث والدراسة والنقد والتوصيف والمعالجة ، إلا أن لكل دراسة منهجها ، ولكل بحث خصائصه ، وشاراته التي تكون علما عليه يُعرف بها عما سواه .

لقد جاءت جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – مخاطبة الفطرة ، ومتحدثة للعقل ، وملامسة للواقع ، وقائمة بالاستدلال ، وراكنة إلى القرآن ، ومنطلقة من السنة ، ولم تنس جانب الوجدان في الإنسان ، ولم تغفل حاجاته من المادة ، فوصفت على طريق الهدي ، وتوسطت القول بالوصف ، جاعلة تلك الوسطية غاية مرادها ، ومحاربة التطرف مبتغى آمالها ، وانتفاء الغلو أمام بصرها ، لتنطلق في كل هذا من قواعد القرآن والسنة ، آخذة منهما ، وراجعة إليهما أيضا .

وإن كان هذا كله يكفي في التدليل على تميز دراسة الشيخ للمذهب ، إلا أن هناك إضافة أخرى تمثل جوانب مضيئة ركزَّ عليها الشيخ فيما يعد ألفاظا بعينها قصدها الشيخ بما تحمل دلالات ومضامين ، لتكشف عن رؤى وتصورات تفتح آفاقا جديدة للتفكر والبحث والتنقيب ، وأقصد بهذا كله ألفاظا كررها الشيخ من كتاب لآخر ، ومن مؤَلف لغيره ، بما يُعد تفردا تفرد به الشيخ في تناوله لهذا المذهب ، كألفاظ (الشخصية – حبل الجماعة – المسئولية التضامنية ...الخ) ، وكلها ألفاظ لها دلالاتها على المراد .

ولم يكن هذا كله ضربا من الخيال أو جموحا في الأوهام ، بل دراسات الشيخ لهذا المذهب ، وتناوله إياه ناطق بهذا كله وطافح بدلالاته بلا ريب .

رحم الله الإمام الراحل رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجعل تلك الجهود في ميزان حسناته ، وألحقنا به في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

النتائج

بعد تلك الدراسة التي مَنَّ الله تعالى عليَّ بها ، وبعد التعايش مع الإمام الراحل من خلال كتبه ومؤلفاته حول الاشتراكية العلمية ، يمكن للباحث – بفضل الله تعالى – الوصول إلى بعض تلك النتائج المترتبة على هذه الدراسة ، ومن ذلك ما يلي :

١– أظهرت الدراسة أن تناول أي مذهب ينبغي أن يكون تناولا شاملا من جميع جوانبه ، بما لا يدع ثغرة فيه تُنقد من خلاله تلك الدراسة ، وهذا واضح في تناول الشيخ شلتوت – رحمه الله تعالى ، فقد تناول الاشتراكية من الجانب العقدي والتشريعي والأخلاقي ، فضلا عن تناوله إياها من خلال العقل والفطرة والوجدان والواقع ، بما يُعد تناولا متكاملا من الإمام الراحل – رحمه الله تعالى – .

٢– أوضحت الدراسة أن هذا العوار الذي يكتنف الاشتراكية العلمية يكتنفها من جميع جوانبها ، فلم يكن مقتصرا على جانب دون آخر ، وهذا يُعد دليلا قويا واضحا على تهافته ، وعدم تماسك بنيانه أمام البحث العلمي الرصين .

٣– أكدَّت الدراسة أن أيَّة مذهب أو رؤى أو تصورات ، إذا صادمت الفطرة ، وخالفت العقل ، وفارقت الواقع ، فإنها لن تسعف البشرية في تحقيق مرادها ، أو إعطائها نوالها ، أو إروائها في ظمئها ، وهذا واضح فيما قامت عليه الاشتراكية العلمية ، فقد تحقق فيها كل هذا بما لا أدنى ريب .

٤– يتضح من خلال الدراسة أيضا أن دعاة الاشتراكية الأوائل قد قصدوا مخالفة الاشتراكيات التي سبقتهم ، إلا أنهم زادوا باشتراكيتهم الأمور تعقيدا ، ووقعوا في أكثر مما عابوا به غيرهم ، وهذا ينم عن قصور في المنهج ، وخلل في التصور ، واختلاط في الرؤى، وغبش في التفكير ، وعدم تقدير للأمور .

٥- يظهر من خلال تلك الدراسة أيضا أن الاشتراكية العلمية تعتمد كليا على كل شيء يتسم بالعموم والتعميم ، فهي تدعو إلى التأميم ، وتنادي العمومية ، وتقوم على الكلية ، وتحمل على الجماعية ، وهذا يدل على أنها تحارب التخصيص والخصوصية والفردية والجزئية ، ولهذا تأتي مسمياتها : الاشتراكية ، والشيوعية ، وتلك المسميات تدل على تحمله من مضامين ودلالات .

٦- ينتج عما نادت به الاشتراكية من العمومية والتعميم ...الخ ذوبان الفرد في الجماعة ، وعدم استقلاليته ، وتعطل ملكاته ، وتثبيط همته ، وضعف إنتاجه ، وتواكله على غيره ، واختلاط المسئوليات ، وتحامل البعض على البعض ، واتهام الفرد لغيره وتواكله عليه ، وهو ما ينذر بانهيار واضح للاقتصاد ، وهو ما حدث بالفعل .

التوصيات

١- ينبغي الاهتمام الواضح بالمذاهب والملل والنحل التي تخالف الإسلام جملة وتفصيلا ، بما يبين عوارها ، ويكشف زيفها ، ويزيل الخفاء عنها بما يجلي حقيقتها ، بما لا يمثل حجر عثرة أمام انتشار الدعوة الإسلامية ، فلا يخفى أنه لا يعقل زرع البذر مع وجود الشوك .

٢- ينبغي الاهتمام بدراسات ومؤلفات الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله تعالى – فيما يتصل ببقية الفروع الأخرى ، حتى تأتي كصورة مكتملة ، وحلقات متواصلة ، إذ أن دراسات الشيخ –كما سبقت الإشارة – لها طابعها الذي يميزها عن غيرها بما لا يقلل من ذلك الغير .

٣- الجمعيات والأحزاب الاشتراكية – تلك التي تنشر أفكارها في المجتمع – بما يمثل خطرا على عقيدته وأفكاره ، ينبغي التيقظ التام لها ، والحذر الشديد منها ، إذ ربما يكون منهجها دس السم في العسل بما يخفى على عوام الناس ودهمائهم ، فوجب التنبيه لذلك .

٤- إن أكثر ما يمثل معاول هدم للاشتراكية العلمية هو التركيز على ما حاربته ، والعمل على إبرازه ، وإقامة الأدلة المتنوعة عليه ، ونشره وإظهاره للناس ، بما يتصل بباب العقيدة والشريعة والأخلاق ، فبضدها تتميز الأشياء كما يقولون ، وإثبات ما يحاربونه هو نفي لما يريدون إثباته بلا شك .

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم ، سبحان من أنزله .

ثانيا : كتب التفسير :

١- تفسير القرآن الكريم – تفسير الأجزاء العشر الأولى . الشيخ محمود شلتوت . مصر . دار الشروق ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م . الطبعة الثانية عشر .

ثالثا : كتب السنة والحديث :

٢- الإبانة الكبرى . عبيد الله محمد بن محمد بن حسان ابن بطة العكبري . السعودية . دار الراية . ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م . الطبعة الثانية.

٣- البحر الزخار . أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي البزار . السعودية ، مكتبة العلوم والحكم ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م . الطبعة الأولى .

٤- البدع والنهي عنها . محمد بن وضاح القرطبي . مصر . مكتبة ابن تيمية ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م . الطبعة الأولى..

٥- بغية الملتمس في أحاديث مالك بن أنس. صلاح الدين أبو سعيد خليل العلائي . بيروت ، عالم الكتب ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٦ – شرح مشكل الآثار . أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلام الطحاوي . بيروت . مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .الطبعة الأولى.

٧- شرف أصحاب الحديث . أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي . تركيا . مطبوعات كلية الإلهيات . جامعة أنقرة. بدون تاريخ .

٨- الفوائد. أبو القاسم تمام بن محمد الرازي . السعودية . مكتبة الرشد . ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م . الطبعة الأولى .

٩- مسند الشاميين . أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أبي أيوب اللخمي الطبراني . بيروت ، مؤسسة الرسالة. ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م . الطبعة الأولى .

رابعا: كتب اللغة والمعاجم :

١٠ – المحكم والمحيط الأعظم ،أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق : أ.د / عبد الحميد الهنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م . الطبعة الأولى.

١١- معجم التعريفات ، الشريف الجرجاني . مصر. دار الفضيلة للنشر والتوزيع . بدون تاريخ .

١٢ – معجم مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس . بيروت ، دار الفكر . بدون تاريخ طبع .باختصار .

المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية . مصر ، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م . الطبعة الرابعة.

١٣ – معجم اللغة العربية المعاصرة أ.د / أحمد مختار وآخرون. مصر، ط عالم الكتب ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م . الطبعة الأولى

١٤ – مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي .بيروت . المكتبة العصرية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م . الطبعة الخامسة .

١٥– تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج . مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

١٦ – لسان العرب ، جمال الدين بن منظور ، ج١٠ ، ص٤٤٨ ، مصر ، دار المعارف ، بدون تاريخ.

خامسا :كتب الموسوعات والتراجم :

١٧ – الأزهر في ألف عام ، د / محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م . الطبعة الثالثة .

١٨ – الأعلام .مصر ، دار العلم للملايين ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م . الطبعة الخامسة.

١٩– الموسوعة العربية العالمية . مجموعة مؤلفين . السعودية . مطبوعات مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع . ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م . الطبعة الثانية .

٢٠– الموسوعة العربية الميسرة . مجموعة مؤلفين . بيروت . المكتبة العصرية ، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

٢١ – موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، مجموعة علماء ، إشراف : أ.د/ محمود حمدي زقزوق ، ص٦١ . مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .الطبعة الأولى .

٢٢ – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مجموعة باحثين . الرياض ، مطبوعات دار الندوة العالمية ١٤١٨هـ . الطبعة الثالثة.

٢٣– قادة الفكر الاقتصادي . روبرت هيلبرونز . ترجمة : د / راشد البراوي . مصر . مكتبة النهضة المصرية . بدون تاريخ طبع .

سادساً: كتب إسلامية :

٢٤– الأزهر في ألف عام . د / محمد عبد المنعم خفاجي . مصر . مكتبة الكليات الأزهرية . ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م . الطبعة الثالثة .

٢٥ – الإسلام عقيدة وشريعة . الشيخ محمود شلتوت . مصر . دار الشروق. ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م . الطبعة الثامنة عشر .

٢٦ – الإسلام والأوضاع الاقتصادية . الشيخ محمد الغزالي. مصر ، مطبوعات نهضة مصر ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م . الطبعة الثالثة

٢٧ – الإسلام والحضارة الإنسانية . عباس محمود العقاد . مصر . مطبوعات نهضة مصر . ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م . الطبعة الثانية .



٢٨ – الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة . يوسف كمال . مصر (المنصورة) . دار الوفاء . ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م . الطبعة الثانية .

٢٩– الإسلام والوجود الدولي للمسلمين . الشيخ محمود شلتوت. مصر ، سلسلة الثقافة الإسلامية ، العدد (٣) ، مطبوعات دار الجهاد ١٩٥٨م .

٣٠– إلى القرآن الكريم . محمود شلتوت . مصر . دار الشروق . ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م . بدون رقم طبع

٣١ – الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام . بيروت . منشورات المكتبة العصرية ، بدون تاريخ طبع .

٣٢ – الفتاوى – دراسة في مشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية العامة . الشيخ محمود شلتوت . مصر . دار الشروق ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م . الطبعة الثامنة عشر .

٣٣– الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . د / مُحَمَّد البهي . مصر . مكتبة وهبة . بدون تاريخ طبع.

٣٤ – الاقتصاد الإسلامي : أسس ومبادئ وأهداف . د / عبد الله بن المحسن الطريقي . السعودية . توزيع مؤسسة الجريسي للطبع والنشر ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م . الطبعة التاسعة.

٣٥ –كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، ص٢٤٥ ، دمشق ، دار القلم ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .الطبعة الثالثة .

٣٦– من توجيهات الإسلام . الشيخ محمود شلتوت . مصر . دار الشروق . ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م . الطبعة الثامنة .

٣٧ – منهج القرآن في بناء المجتمع . الشيخ محمود شلتوت . مصر . مطابع دار الكتاب العربي ، الرسالة الخامسة ، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

٣٨ – الوصايا العشر . الشيخ محمود شلتوت . مصر ، دار الشروق . ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م . الطبعة الخامسة .

سابعا : كتب اشتراكية عن أصحابها :

٣٩ – الأيدولوجية الألمانية – مصادر الاشتراكية العلمية ،كارل ماركس ، فريدريك إنجلز ، ترجمة : د / فؤاد أيوب . دمشق . دار دمشق .بدون تاريخ ولا رقم طبع .

٤٠– بؤس الفلسفة– رد على فلسفة البؤس لبرودون .كارل ماركس . ترجمة : مُحَمَّد مستجير مصطفى . بيروت ، مطبوعات دار التنوير . ١٤٣٠هـ – ٢٠١٠م . الطبعة الرابعة .

٤١– بيان الحزب الشيوعي ،كارل ماركس – فردريك إنجلز . مصر ، مطبعة روافد . ٢٠١٤م.

٤٢ – العمل المأجور ورأس المال ،كارل ماركس ، ترجمة : إلياس شاهين ،ص٢١ ، ٤٢ ، ٤٣ . موسكو ، دار التقدم ١٨٩١م.

٤٣ – كارل ماركس أو فكر العالم ، جاك أتالي ، ترجمه عن الفرنسية : مُحَمَّد صبح ، ص٣٨٣ : ٣٨٨ . دمشق ، دار كنعان ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨ م . الطبعة الأولى

٤٤ – ملاحظات حول البيان الشيوعي ، ليند ساي جرمان . مطبوعات مركز الدراسات الاشتراكية ، بدون ذكر اسم البلد وسنة الطبع .

ثامناً : كتب عن الاشتراكية لغير أصحابها :

٤٥ – إساءة الحضارة الرأسمالية والشيوعية إلى الله . أ.د/ علي غازي عناية . بيروت ، دار الكتب العلمية . ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٤٦ – السرطان الأحمر . د/ عبد الله عزام . عمان . مكتبة الأقصى . ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م . الطبعة الأولى .

٤٧ – مقدمة كتاب : أسس نقد الاقتصاد السياسي في النقود لكارل ماركس ، مارتن نيكولوس ، ترجمة : عصام الخفاجي . بيروت . دار ابن خلدون . ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م . الطبعة الأولى .

٤٨ – السلطة والرخاء : نحو تجاوز الديكتاتوريتين الشيوعية والرأسمالية . د/ منصور أولسون ، ترجمة . د / ماجدة بركة. بيروت . المنظمة العربية للترجمة . ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م . الطبعة الأولى .

٤٩ – الشيوعية : خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات . أحمد عبد الغفور عطار . السعودية . دار الأندلس ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م . الطبعة الأولى

تاسعا: المجلات والدوريات :

٥٠ – مجلة الأزهر ، مجلة شهرية جامعة ، تصدر عن مشيخة الأزهر مطلع كل شهر عربي.

٥١– مجلة الرسالة . مجلة أسبوعية أدبية . متوقفة الآن .

Fontes et references

Primum: Nobilis Qur'an, Gloria ei qui eam misit.

Secundo libros interpretationis;

1- Nobiles Qur'an interpretatio decem primarum partium. Sheikh Mahmoud Shaltout. Aegyptus. Dar Al-Shorouk 1424 AH - 2004 AD. Editio XII.

Tertium: Libri Sunnah et Hadith;

.2-The Great Dem. Obaidullah Muhammad bin Muhammad bin Hassan bin anat Al-Akbri. Saudi Arabia . Vexillum Domus. 1415 AH – 1994 AD. Secunda Editio.

3-Al-Zakhkhar mare. Abu Bakr Ahmed bin Omar bin Abdul Khaliq Al-Ataki Al-Bazzar. Arabia Saudiana, bibliotheca scientiarum et regiminis, 1430 AH – 2009 AD. Editio prima.

4-Innovando et prohibendo. Mohammed bin Wadah Al-Qurtubi. Aegyptus. Ibn Taymiyyah Library 1416 AH - 1996 AD. editio prima.

5-In conspectu actoris in hadiths Malik bin Anas. Sala al-Din Abu Saeed Kalil al-Ala'i. Berytus, Orbis Libri 1405 AH 1985 AD.

6-Explicatio quaestionis effectuum. Abu Jaafar Ahmed bin Muhammad bin Salam al-Tahawi. Beirut . Al-Resala Foundation 1415 A.H. – 1994 A.D. Editio Prima.

7-Honor hadith dominis. Abu Bakr Ahmed bin Ali bin Thabit al-Khatib al-Baghdadi. Turkey . Publicationes Collegii Theologiae. Ancyra University. sine date.

8-Beneficiis. Abu al-Qasim Tammam bin Muhammad al-Razi. Saudi Arabia . Al-Rushd Library. 1412 AH - 1992 AD. Editio prima.

9-Musnad Flaminum. Abu al-Qasim Suleiman bin Ahmed bin Abi Ayoub al-Lakhmi al-Tabarani. Berytus, fundatio Al-Resala. 1409 AH – 1989 AD. Editio prima.

Quartus: Linguae libri et dictionarii;

10- Al-Hakam et Oceanus maximus, Abu Al-Hassan Ali bin Ismail bin Sayyidah, Inquisitio: Prof. Dr. Abdul Hamid Al-Hindawi,

Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1421 AH – 2000 AD. editione principe.
11-Definitionum definitionum, Al-Sharif Al-Jurjani. Aegyptus. Dar Al-Fadillah pro Publishing et Distributio. sine date.
12-Dictionarium Linguae Signorum, Ahmed Ibn Faris. Berytus, Dar Al-Fikr. No printing date.
Intermedia Dictionary, Arabica Lingua Complexa. Aegypti Al-Shorouk Bibliotheca Sacra, 1425 A.H., 2004 A.D. Editio quarta.
13-Dictionarium Linguae Arabicae hodiernae Prof. Dr. Ahmed Mokhtar et aliis. ^gypti, Orbis Terrarum Libri, 1429 A.H., – 2008 A.D. editio prima
14-Mukhtar al-Sahah, Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir al-Hanafi al-Razi, Beirut. Modern Library 1420 AH – 1999 AD. Quinta Editio.
15-Coronae Sponsae e Gemmae Dictionarii, Muhammad Mortada Al-Husseini Al-Zubaidi, percontationis ab: Abdel-Sattar Ahmed Farraj. Gubernatio Press Cuvaitum, 1385 A.H., – 1965 A.D.
16-Lisan al-Arab, Jamal al-Din Ibn Manzur, vol X, p., 448, Aegyptus, Dar al-Maaref, undata.
Quintum: Libri encyclopediarum et translationum;
17-Al-Azhar in Mille Annis, Dr. Muhammad Abdel Moneim Khafagy, Egypt, Al-Azhar Collegiorum Bibliotheca, 1408 AH – 1988 AD. Editio tertia.
18-Al-Alam Aegyptus, Domus Scientiae pro Ingentis, 1400 AH – 1980 AD. Quinta Editio.
19-The International Encyclopedia. natio auctorum. Saudi Arabia . Publications of the Encyclopedia Foundation for publication and distribution. 1419 AH – 1999 AD. Editio secunda.
20-The Facility Arabic Encyclopedia. natio auctorum. Beirut . Bibliotheca moderna, sine numero vel numero print.
21-thesaurus generalium islamicorum conceptuum, sodalitatum scholarium, Supervisionis: Prof. Dr. Mahmoud Hamdi Zaqzouq, p.

Publicationes supremi Consilii de Negotiis islamicis, Aegypti, 1421 AH – 2000 AD, editio prima.

22–The Facilated Encyclopedia of Contemporary Religions, Doctrines and Partium, Coetus Investigatores. Riyadh, Publicationes Conventus Internationalis Domus, 1418 AH. Editio tertia.

23–Auctores sententiae oeconomicae. Robertus Hellbronze. Translated by: Dr. Rashid Al–Barawi. Aegyptus. Bibliotheca Aegyptia Renaissance. No print date.

Sextus: Islamica libri:

24–Al–Azhar in mille annis. Dr. Mohamed Abdel Moneim Khafagy. Aegyptus. Bibliotheca Collegiis Al–Azhar. 1408 AH – 1988 AD. Editio tertia.

25–Islam opinionem ac legem. Sheikh Mahmoud Shaltout. Aegyptus. Ortus Domus. 1421 AH – 2001 AD. Editio octava.

26–Islam et condiciones oeconomicas. Sheikh Muhammad Al–Ghazali. Aegypti, Nahdet Misr Publications, 1425 A.H. tertia editio

27–Islam et humanam civilitatem. Abbas Mahmoud Al–Akkad. Aegyptus. Nahdet Misr Publications. 1426 AH – 2006 AD. Editio secunda.

28–Doctrinae oeconomicae islae et hodiernae. Youssef Kamal. Aegyptus (Mansoura). Domus Fides. 1410 AH – 1990 AD. Editio secunda.

29–Insula et praesentia internationalis Sarraceni. Sheikh Mahmoud Shaltout. Egypt, Islamic Culture Series, No. (3), Dar Al–Jihad Publications, 1958.

30–Nobili Qur'an. Mahmoud Shaltout. Aegyptus. Ortus Domus. 1403 AH – 1983 AD. sine print numerus

31–Communismus et Humanismus in Lege islamica. Beirut . Editiones bibliothecae modernae, nulla typis data.

32–Fatwas – Studium problematum musulmanorum hodiernae in vita sua publica. Sheikh Mahmoud Shaltout. Aegyptus. Dar Al–Shorouk 1424 AH – 2004 AD. Editio octava.

33–Cogitatio islamica moderna eiusque nexus cum colonialismo occidentali. Dr. Muhammad Al-Bahi. Aegyptus. Wahba Library. No print date.

34–Oeconomia islamica: Fundationes, Principia et Objectiva. Dr. Abdullah bin Mohsen Al-Tariqi. Saudi Arabia . Distribution of Jeraisy Foundation for Printing and Publishing 1430 AH – 2009 AD. Editio Nona.

35–Kawasif Zayouf in Doctrinae intellectuales Contemporariae, Abd al-Rahman Hassan Habanka, 245, Damascenus, Dar al-Qalam 1419 AH – 1998 AD Editio tertia.

36–Ex praescriptionibus Insulae. Sheikh Mahmoud Shaltout. Aegyptus. Ortus Domus. 1424 AH – 2004 AD. Editio octava.

37–Accessus ad societatem Qur'an. Sheikh Mahmoud Shaltout. Aegyptus. Dar Al-Kitab Al-Arabi Press, nuntius quintus, sine die vel numero typographico.

38–De praeceptis decalogi. Sheikh Mahmoud Shaltout. Aegyptus, Dar Al-Shorouk. 1404 AH – 1984 AD. Quinta Editio.

Septimo: Socialisticae libri de dominis suis;

39–Ideologia Germanica – Fontes Scientificorum Socialismi, Karl Marx, Friderici Engels, translati a: Dr. Fouad Ayoub. Damasceni. Dar Damascus, no date or printing number.

40–Philosophiae Miseria – Responsio ad Proudhoni Philosophiam de Miser. Carolus Marx. Translated by: Muhammad Mostajir Mustafa. Berytus, Dar Al-Tanweer Publications. 1430 AH – 2010 AD. Editio Quarta.

41–Manifesto Factionis Communistae, Karl Marx – Friedrich Engels. Aegypti tributarii praelo. MMXIV AD.

42–Stipendium laboris et capitis, Karl Marx, translatum a: Elias Shaheen, pp. 21, 42, 43; Moscoviae, Progress House, 1891 AD.

43–Karl Marx, seu Cogitatio mundi, Jacques Attali, e Gallico translata: Muhammad Sobh, 383: 388. Damascus, Dar Canaan, 1428 AH – 2008 AD. editio prima

44-Notae de Communistarum Manifesto, Lindsay German. Publicationes Centri Studiorum Socialistarum, sine nomine patriae et anni publicationis.
OCTAVIUS: Libri de socialismo pro non dominis;
45-Abusus civilizationis capitalistae et communisticae erga Deum. Dr. Ali Ghazi Enaya Prof. Berytus, Domus Scientific Books. 1417 AH – 1997 AD.
46-cancer rufus Dr. Abdullah Azzam. Oman. Al Aqsa Library. 1400 AH – 1980 AD. Editio prima.
47-Introductio in librum: Fundationes Criticae in Moneta Oeconomiae Politicae a Karl Marx, Martin Nicolao, translata a: Issam Al-Khafaji. Beirut . Ibn Khaldun Domus. 1404 AH – 1984 AD. Editio prima.
48- ,Potestas et Prosperitas: Ad superandas dictaturae communistarum et capitalistarum. Dr. Mansour Olson, translation. Dr. Magda Baraka. Beirut . Arabic Organization for Translation. 1424 AH – 2003 AD. Editio prima.
49-Communismus: summarium omnium infidelitatis, malorum et infirmitatum. Ahmed Abdel Ghafour Attar. Saudi Arabia . Dar Al-Andalus 1400 AH – 1980 AD. editio prima
Nono: Acta et periodica:

الفهرس